الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: (أدب جزائري)

بديعية "ابن الخلوف القسنطيني"

"استرواح القبول بمدح طه الرسول" مضمونها ونظامها البلاغي

مقدمة من قبل:

الطالب (ة): **بومعزة بشرى**

الطالب (ة): **بلحواس جزيرة**

تاريخ المناقشة: 15 / 06 / 2022

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
إبراهيم كربوش	أستاذ محاضر (ب)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
أسماء سوسي	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
سهام بوذروعة	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً بيومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على كافة البشر.

مقـدمة

مقدمة:

لعل أسوأ العصور حظًا إن صح التعبير وأقلها عناية من حيث اهتمام الباحثين به، هو العصر المملوكي والعثماني، اذ لايزال القسط الأوفر مما خلّفه لنا دفينا، قد علاه غبار الزمن، وكأنّ الباحثين اليوم أو بعضهم يخشون إزالة الغبار إن أقدموا عليه، وأخرجوا مكنونه، ومن هنا كانت الأحكام العجلى على هذا العصر، مما جعل بعضهم على تسميته بعصر (الإنحطاط)، تعصباً أو جهلاً أو عجلة.

وهذا العصر لم يكن أقل من غيره عطاء فقد تعددت نتاجاته وتنوعت حتى شملت فنون المعرفة كلّها، من أدب، وشعر، وفلسفة، وفقه، وتاريخ.... وغيرها من العلوم.

ولأننا لا نستطيع الإحاطة بجوانب هذا العصر كله، اقتصرنا في بحثنا على دراسة ظاهرة شعرية فنية، نبتت فيه واستوت على أشدها، وانطلقت في رحلة امتدت نحواً من سبعة قرون، استمدّت من المدائح النبوية قوة تدفعها إلى الأمام، ومن فن (البديع) زاداً يعينها على رحلتها الطويلة هذه الظاهرة الطريفة هي "البديعيات"، باعتبارها تميزاً وتفرداً في ميدان الشّعر.

فكانت بديعية ابن الخلوف "استرواح القبول بمدح طه الرسول" من ديوانه "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" نموذجا يجسّد ذلك التميز والتفرد، من هنا وقع عليها الاختيار موضوعا للدراسة مضموناً ونظاماً بلاغياً الموسومة بـ بديعية ابن الخلوف "استرواح القبول بمدح طه الرسول "مضمونها ونظامها البلاغي".

وتحت كل هذا كانت هناك مجموعة من الأسباب دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع منها:

عزوف الباحثين عن دراسة هذا الموضوع على امتداد، واتساع رقعة المغرب العربي فلم يتناول هذا الموضوع إلاّ قلّة قليلة في شكل إشارات على الرّغم من أهميته واعتباره، جزءً لا يتجزأ من التراث العربي الإسلامي.

ومما زاد من رغبتنا في متابعة هذا البحث جدّته، حيث أن إخراج مثل هذه البديعية إلى النور ودراستها، وكذا الإشارة إلى بعض البديعيات، يعد مساهمة في التعريف بموروث عربي عريق يتسم بالموسوعيّة، من خلال المضمون والنظام البلاغي لبديعية تعتبر واسطة عقد بينها —بديعية ابن

الخلوف-كما لا يجب أن نغفل عن السياق الزمني الذي ظهرت فيه، فهي ترجمة لحقبة زمنية مهمة اختلف النقاد في شأنها، إنها العصر المملوكي بأحداثه وتداعياته، فعسى أن ننال تأصيله من خلال تناول هذا الموضوع، أو إثارته على الأقل.

وقد استلزم منا البحث في الموضوع طرح تساؤلات عدة أهمها:

- ما لمقصود بالبديعيات؟ وما خصائصها المضمونية والشكلية؟
- ما مدى تأثّر حب ابن الخلوف القسنطيني للرسول -صلى الله عليه وسلم-؟
- ما النظام البلاغي التي تشتغل عليه هذه البديعية عند إبن الخلوف؟

وتجذر الإشارة الى الصعوبات التي اعترضت غمار البحث في الموضوع المتمثلة في:

- أصعب عائق واجهنا هو أن الديوان(قلة الدراسات في الموضوع).
- إضافة إلى ندرة المراجع، المهتمة بدراسة البديعيات ذلك أن البحث في الموضوع لا يزال بكراً ومع ذلك كانت للاستزادة ببعض المصادر والمراجع دور لا يمكن إغفاله في تذليل الدراسة والبحث، نذكر منها:
- ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين لابن الخلوف القسنطيني.
- كتاب البديعيات في الأدب العربي (نشأتها، تطوّرها، أثرها) لعلي أبو زيد.
- البديعيات النشأة والمضمون —ابن الخلوف أنموذجا- لنورة بن سعد الله.
- يضاف إلى هذه الدراسات بعض الرسائل الجامعية (الماجيستير، دكتوراه) التي تناولت مدوّنة شاعرنا المعنونة بـــ" مواهب البديع في علم البديع" بعنوان: البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي - بديعية ابن الخلوف نموذجا -.

وقد اعتمدنا في دراسة معاني هذه البديعية، وتسليط الضوء على أنظمتها البلاغي على المنهج الوصفي، وبعض آليات المنهج الأسلوبي كونهما الأنسب لدراسة مثل هذه المواضيع ومن هنا اقتضى هيكل الدراسة أن تكون في فصلين تسبقها مقدمة، وتتلوها خاتمة.

أما المقدمة فتضمّنت حديث عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث ومنهجه.

وجاء الفصل الأول المعنون بـــ "البديعيات المفاهيم والتصورات"، فجاء لرصد مفهوم البديعيات اللّغوي، والاصطلاحي، وتبيان جذورها في الشعر الجزائري القديم، موضحين تلك العلاقة الوطيدة بين هذا الفن وظاهرة التّصوف، فضلا عن المضامين التي يتغنى بها الشعراء فيها.

أما الفصل الثاني المعنون بـــ «بديعية ابن الخلوف "استرواح القبول في مدح طه الرسول" دراسة في المضامين والأنظمة البلاغية»، فقد اختص البحث في بالنظام البلاغي للبديعية والمضامين التي وردت فيها، وكيفية توظيف الشاعر لها في قالب فنّي جمالي يشدّ الانتباه، ويؤثر في القراء.

وأخيرا ذُيِّل البحث بخاتمة تضمّنت أهم النتائج المتوصل إليها فيه.

وفي الختام نتوجه بجزيل الشكر والعرفان لكل من أمدنا بيد العون في إنجاز العمل ونخصُّ بالذكر الأستاذة على نصائحها وتوجيهاتها القيّمة.

كما لا ننسى أعضاء لجنة المناقشة من الأستاذة الأفاضل الذين تجشموا عناء قراءة البحث وتصويب ما اعوَّج فيه، آملين أن يكون الموضوع محفزا للأقلام على سدِّ ثغراته، وتقويم اعوجاجه فإن أحسنا فيه، فيها ونعمت، وما توفيقنا إلاّ بالله، وان قصّرنا فمن أنفسنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الفصل الأول:البديعيات المفاهيم والتصورات

- تمهيد

1- مفهوم البديعيات

أ. المفهوم اللغوي للبديعيات

ب. المفهوم الإصطلاحي للبديعيات

2- جذورها في الشعر الجزائري القديم

3- التصوف والبديعيات

4- مضمون البديعيات

- **تمهيد:**

ان اللغة العربية التي أدركها الإنسان في العصر الجاهلي على اتساع دلالاتها وثرائها كانت ديوان شعر وميثاق أمة بأسرها، ومن ثم أمكنه تصوير حياته في شتى الصور التي نقف أمامها مشدوهين لما تتميز به من حس فني يوّشحه صدق زمردي إنه سحر الكلمة الذي ينبعث كأشعة الشمس فيسلب الأبصار ويجلب العقول فمعاني الألفاظ والكلمات توحي بمدلولات جديدة، وفي المقابل يوّلد الشاعر كلمات جديدة وغريبة تشمل كل تلك المعاني والدلالات.

فلا حدود للكلمة إنها تتجاوز كل إطار من شأنه أن يحدد دلالتها إنها تستلهم من أعماقها فنشأ الأدب في بيئة عربية محضة، بعناصرها الشاملة والمجسدة للروح العربية.

نشأ الانسان الجاهلي بالفطرة فأنشد شعرا بالسليقة، ثم أدرك بها ما فيه من خطأ أو شطط فحاول مواءمته والطبيعة الخلابة المؤثرة، مما أكسبه حسا شعريا يعبر فيه عن أفكاره ومشاعره بصورة جميلة منمقة، إذ من المعروف أن شعراء العرب وخطباؤهم منذ العصر الجاهلي كانوا يغذون أساليبهم التعبيرية بالألوان البلاغية وأن ما جاء في شعر الشعراء العباسيين ومن بعدهم لم يكن من وصفهم وتأليفهم إنما سبقوا إليه، وهذا ما دفع " **ابن المعتز**" إلى تأليف " **كتاب البديع**"، الذي يعد نقطة تحول في تاريخ البلاغة العربية بأقسامها الثلاثة خاصة علم البديع إذ أن جمع وتصنيف ألوانه كان ذا أهمية كبيرة في البلاغة العربية، من خلال استقلال علم من علوم البلاغة وبروزه في نمط جديد واعتبار ذلك نصرا لكل من وُلع بهذا الفن، لأنه مطية لأشكال أخرى، وحافزا كبيرا للأدباء والبلغاء في النظم.

وسنحاول من خلال مبحثنا هذا أن نتطرق إلى مفهوم البديعيات لغة واصطلاحا، إلى جذورها في الشعر الجزائري القديم، ثم علاقتها بالتصوف ومضامينها.

1.مفهوم البديعيات:

أ. المفهوم اللغوي:

يصعب تحديد تعريف دقيق للبديعيات لعتبارها فناً جديداً في الساحة الأدبية ولكون مفهومه أمرٌ يعتريه الجدل والاختلاف.

فلمعرفة دلالات كلمة "بديعية" وأصولها حاولنا البحث عن اشتقاقاتها بالعودة إلى مادة " بَدَعَ" في المعاجم .

فقد جاء في معجم " مقاييس اللغة":

بَدَعَ: الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عنْ مثال والأخر الانقطاع والكَلال.

فالأول قولهم: أَبْدَعْتُ الشيء قولاً أو فِعلاً، إذا ابتدأته لا عن سابِقِ مثال. والله بديعُ السَّماواتِ والأرض والعرب تقول: ابتدعَ فلان الرَّكيّ إذا استنبطه.

وفلانٌ بِدعٌ في هذا الأمر قال الله تعالى: (مَا كُنْتُ بِدْعاً من الرّسُلِ) أي ماكنت أوّل[1].

أما في المعجم الوسيط نجد:

" بَدعَهُ –بدعاً: أنشأهُ على غير مثال سابق، فهو بديع.

بَدُع –بَداعَة: وبُدُوعاً، صار غاية في صفته خيرا كان أو شرا، فهو بديع. / وأُبْدَعَ: أتى البديع، وأتى بالبدْعَة/وبَدَعَهُ: استخرجه وأحدثه"[2]. والإبداع سمة الشاعر المبتكر، والكاتب المقتدر، أي أن المادة اللغوية تنتمي إلى إنشاء الشيء بذاته.

ولقد أورد "**الزمخشري**" في أساس البلاغة مادة "بدع": " أبدع الشيء وابتدعه: اخترعه، وابتدع فلان هذه الركِيّةَ وسِقَاءٌ بديعٌ: جديدٌ. ويقال: أبدَعَتِ الرّكابُ إذا كلّتْ. وحقيقته أنّها جاءتْ بأمرٍ حادِثٍ بديع. وأُبْدِعَ بالرّاكبِ إذا كلّتْ راحلَتُه، كما يُقال: انْقُطِعَ به، وانْكُسِرَ إذا انكَسَرَتْ سفينتُه.

[1] – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة العربية، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت (لبنان)، ط1، 1979م، ج1، ص 209.
[2] – مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص43.

ومن المجاز: أبْدَعَتْ حُجّتُك إذا ضَعُفَتْ، وأبْدَعَ بي فُلانٌ: إذا لم يكن عند ظنّك به في أمرٍ وثِقْتَ به في كِفَايتِهِ وإصلاحِه"[1]. أي لم يكن عند الثقة المعطاة له لإتمام الأمر وكماله.

ويبقى التعقيد سمة مغرية تدفعنا دوما للبحث لاكتشاف الدُّرر واستلهام الحقائق، وسنعرض لمجموعة من المعاني لبيان أوجه الإختلاف والتشابه في دلالات البديع:

" أُبْدِعَتْ حُجَّتَهُ: أُبْطِلَتْ، وبِفُلانٍ: عَطِبَتْ رَاحِلَتُهُ وكلّتْ، ويبقى منقطعاً عن الرفقاء.

بَدّعَهُ: نَسَبَهُ إلى البِدْعَة.

ابْتَدَعَ: أتَى بِبِدْعَة. و–الشيءَ : بَدَعَهُ.

تبَدّعَ: أتَى بِبِدعَةٍ. و–صار مبتَدِعًا

اسْتَبْدَعَهُ: عدَّهُ بديعاً"[2].

يوجد اختلاف في تحديد مفهوم البديعيات من الناحية اللغوية، إذ أنها تبقى محل بحث، فهي لم تتناول من قبل اللغويين ولم تلقَ حظَّها في المعاجم وان كان أغلب اللغويين يتفقون على أن معنى كلمة **(بدع)** بمعنى الإبداع والإتيان بالجديد المستطرف وهو ما يمكن أن يتحقق في البديعيات باعتبارها فنًا من قِوامه الإبداع انطلاقا من احتفائه بالبديع.

ومن جهة أخرى، نجد اختلافا في مفهوم الكلمة من الناحية الاصطلاحية حيث عرف مصطلح " البديعيات" تعريفات عدّة كما سيتضح في التعريف الإصطلاحي.

ب. المفهوم الاصطلاحي للبديعيات:

من المعلوم أن اللغة العربية تختلف عن باقي اللغات العالمية الأخرى باتساع دلالتها، وعمق معانيها، وجمال أساليبها، وروعة صورها وبيانها أضف إلى ذلك سلاسة نطقها فلا ريب إذن من كلِّ

[1] – أبو القاسم محمود ابن عُمرين أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 1 1998م، ج1، ص 50.

[2] – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص43.

هذا أن نكتشف فيها –في كل مرة –الجديد العجيب، وتعد البديعيات من المصطلحات التي تضاربت الأراء والمفاهيم بشأنها، وفي هذا الصدد نحاول أن نتطرق لبعض التعريفات الاصطلاحية لهذا المصطلح.

حيث نجد "**الجاحظ**" يقصر البديع على العرب ويجعله سبب تفوق لغتهم على سائر اللغات فيقول:" والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأَرْبَت على كل لسان، والراعي كثير البديع في شعره وبشّار حسن البديع، والعتابى يذهب في شعره مذهب بشار"[1].

فالعرب وحدهم من عرفوا البديع وزينوا به شعرهم.

ونجد أيضا "**زكي مبارك** "يقول عند حديثه عن المدائح النبوية عامة –وما أثاره البردة للبويصري–خاصة–ما إذا كانت حافزا للكتابة قصائد على منوالها قائلا:" وقد افتتن ابن جابر بقصيدة البردة وظهر أثرها في شعره، فقد شغل نفسه بمعارضة البردة، ولكن أي معارضة؟ لقد ابتكر فنا جديدا هو "البديعيات" وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول ولكن كل بيت من أبياتها يشير إلى فن من فنون البديع"[2].

ويعد القرنين الثامن والتاسع الهجريين من أهم مرحلة في تاريخ النظم البديعي، وفيهما عرفت البديعيات تطورا كبيرا وفي ظل الاختلاف نبحث عن فيء فلا نجد إلا "**علي أبو زيد**" في دراسته حول البديعيات والتي كانت منطلقا ومرتكزا في بعض جوانب الموضوع، فتحديده لمفهوم البديعيات كان من منطلقين تعريف "**عام وخاص**" محاولا بذلك مواءمة كل القصائد التي كتبت في هذا الميدان وجعلها في دائرته، ورسم خطوطا عريضة تحدد أطرها لذا كان لزاما أن ندرجها في ثنايا البحث.

فالتعريف العام: الذي شمل جميع البديعيات على شيء من التعميم الذي يخرجه عن دقة التحديد نعتبر فيه" **البديعية:** قصيدة طويلة، في مدح النبي –صلى الله عليه وسلم – ونادرا غيره–يتضمن كل

[1] – الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ج4، ص55،56.

[2] –زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، دار المحجة البيضاء، مكتبة مؤمن قريش، (د.ط)، (د.ت). ص168.

بيت من أبياتها نوعا من أنواع البديع يكون هذا البيت شاهداً عليه، وربما وري باسم البديعي في البيت نفسه في بعض القصائد"[1]. فهي إذا قصيدة في مدح النبي-صلي الله عليه وسلم-تتضمن لونا من ألوان البديع.

أما التعريف الخاص:" فهي قصيدة، في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، على بحر البسيط وروي الميم المكسورة"[2]، واختار الناظم البحر البسيط لسهولة الألفاظ فيه وسهولة حفظها.

ويظهر الفرق بين التعريفين" أن الثاني: مخصص مقيّد، يخرج القصائد التي قيلت في مدح غير رسول الله محمد-صلى الله عليه وسلم-والتي جاءت في مرحلة متأخرة وعلى ندرة...، ولينحّى القصائد التي كانت على غير روي الميم المكسورة والبحر البسيط"[3]. اقتداء برائد المدائح النبوية البوصيري في بردته ومحاكاته لها.

ومن كل ما سبق يتضح أن مصطلح بديعية لم يحدد له تعريف على الرغم من أنّه ظهر ودام لفترة طويلة وتألق نجمه فهو فن جديد يعبّر عن ذلك الانفجار الحاصل في المجتمع الإسلامي حتى أن الشعر كان أكثر جدة إذ يفتح الباب على مصراعيه لآفاق جديدة، واللّغة الشعرية التي اتسمت بها هاته القصائد متفردة تعبر عن تأزم روحي في سياق حضاري حافل بالتناقضات الهائلة، فالحديث لا ينتهي شأن هذا الفن المستحدث، ويبقى مجالا مفتوحاً لدراسات أخرى.

ومنه فالبديعيات كما يقال، هي برزخ بين المدائح النبوية ذات الحس الوجداني، وبين المنظومات التعليمية التي انعدمت فيها العاطفة[4].

يمكن أن نقول إنّ البديعية زئبقية اللفظ والمعنى، لذا يصعب على كل باحث تحديد معناها وعلى كلٍّ يمكن القول إنَّ البديعية لِتَكونَ كذلك يجب أن تشتغل على أنواع وألوان متعلقة بعلم

[1] – علي أبو يزيد، البديعيات في الأدب العربي (نشأتها، تطورها، أثرها)، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1983م، ص46.

[2] – المرجع نفسه، ص46.

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] – ينظر، فاطمة عمراني، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، المجمع العالمي لأهل البيت السلام عليهم، ط1، (د.ت)، ص146.

البديع، اذ من شأنها أن تضفي الطابع الجمالي الفني والدلالي عليها، كما رونقها لا يزداد إلا إذا كان المضمون متعلقا بمدح الرسول – صلى الله عليه وسلم–ويبقى سحرها مرتبطا بالمعنى وخيرّ معبر عنه.

ونخلص إلى أن فن البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة [1].

2. جذورها في الشعر الجزائري القديم:

لا يخفى على الباحث أن معرفة البدايات من أعقد المشكلات فكيف إذا كانت البداية بحد ذاتها تسهم في ذلك الإشكال وتشعّب الطرق إليه كما هي الحال في بداية (البديعيات)، من وجود إمكانية الأخذ والرد والتقديم والتأخير؟ مضاف إلى ذلك أنها إلى الأن لم تدرس في بحث مستقل ولم تحظ بعناية كاملة، إنما كان لبعض المحدثين توقف عندها في سياق بحوثهم العامة ولذلك لم تشهد (البديعيات) حكماً فاصلا في معظم جوانبها إن لم أقل في جميع ذلك ومن هذه الجوانب: بداياتها[2].

ساهمت عوامل شتى في ظهور هذا الفن وحوافز ومسببات يقول في ذلك "**علي أبو زيد**":" ما من شك في أن البديعيات لم تكن طفرة بنت ساعتها بل كانت وراءها مسببات، وظهرت لها أعمال تفاعلت وتكاملت حتى أخرجتها إلى النور لتكتمل بعد ذلك خلقا سويا"[3].

فالقول أن البديعيات فن متميز في مجال الشعر، من حيث الشكل والمضمون، إنها إضافة لرصيد المغرب العربي الشعري، فهي نموذج شعري متجذر في التراث، أسهمت في ظهوره عوامل متشعبة متعلقة بالعصر ومتغيراته فحتما الظروف الاجتماعية والسياسية، وكذا الحضارية كان لها دورها الفعال والرئيس في ظهور هذا الفن، إذ العلاقة وطيدة بينهما، فالأحداث والمتغيرات زرعت في النفوس الخيبة والحزن واليأس، ما جعلهم يعودون إلى الماضي عن طريق البديعيات، من خلال مدح الرسول

[1] – ينظر، انعام فّوال عكّاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان ط3، 2006م، ص257.

[2] – ينظر، علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي (نشأتها، تطورها، أثرها)، ص 55.

[3] – علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي (نشأتها، تطورها، أثرها)، ص31.

– صلى الله عليه وسلم– وكل الأماكن المقدسة، حيث إن جميع أبيات البديعية تصب في غرض واحد وهو مدح النبي – صلى الله عليه وسلم–، وآله وصحبه، والتشوق إلى زيارة مقامه الكريم، والتشبث بأذياله الطاهرة، ليكون شفيعا لنا جميعا يوم لا ينفع مال ولا بنون، وذكر سيرته المعطرة الحافلة بالمواقف الخالدة[1].

هو نوع من الهروب إلى عالم آخر متخيل، يعيش في رحابه، لينسى واقعه الأليم وأحزانه على أن الأوضاع السياسية القائمة حينذاك كانت تدعو إلى اصطناع هذه الأساليب البديعية، لما تتطلبه هذه الأوضاع من احتيال في مخاطبة الحكام، والتواء ضروري في مخاطبتهم، خوف غضبهم وبطشهم فالمصانعة كانت ضرورية، وهي أسلوب المتكلم أحق بالرعاية أنذاك.

"كانت هذه الظروف والأوضاع السياسية الحافز الأول نحو العودة إلى الأصل، إلى ينبوع الرحمة، ودافعا كبيرا لمثل هذا النزوع البديعي، فالألم والمعاناة والتسلط تجعل كوامن الشعر تخبو وراء أصباغ وألوان بديعية لغياب السند المعنوي وانتشار الظلم والفساد، فهو يعبر عن تأزم روحي واختلالات في مناحي الحياة حيث الحزن والأسى ينأى بالإنسان إلى الماضي الحاضر الغائب، اذ يعبر عن لاوعي جمعي، وترجمة للذات، الأنا الآخر، من خلال هاته اللغة الشعرية المنمقة"[2].

ثم إن الأمر لا يقتصر على أحداث العصر وتأثيراته، بل على سمة العصر، حيث كان عصرا لنظم شتى العلوم "اتجه كثير من الشعراء إلى نظم هذه المعارف والأفكار العلمية وإخراجها في قصائد تطول أو تقصر وتزويدها بما ينبغي للأساليب العلمية أن تزود به، فنظموا في الفقه والمواريث والأحكام المختلفة، وفي النحو والبلاغة والعروض والتاريخ وغير ذلك"[3].

ويبقى الارتباط وثيقا بين البديعيات وطبيعة العصر الذي نشأت فيه، ذلك أن الأوضاع السياسية والاجتماعية والحضارية السائدة آنذاك كان لها دور فعال في نشأة هذا الفن ورقيه وتنوعه

[1] – نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ابن الخلوف أنموذجا: مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة 1، العدد 32، جوان 2015 م، ص 70.

[2] – نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ص71.

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بزخم معرفي وشكل متميز ومضمون سام ذي دلالة عميقة، إذ كانت حضارة ملونة مزدانة تجنح نحو حب الظهور والمبالغة والتهويل والالتواء والزخرف[1].

كل هذا ساهم بطريقة أو بأخرى في هذا النمط الجديد من الشعر لافت للنظر والذي غدا فجراً جديدا وبعث النشاط الأدبي بعد أن ساده الجمود ولفه الخمول فكانت اللغة الشعرية مطية الشعراء ووسيلتهم بل غايتهم في الإفصاح عن مكنوناتهم وإبراز مقدرتهم وبراعتهم بوصف الأنواع البديعية، كل هذا ينم عن حب كبير للبديع فولوعهم بالبديع وصناعته، أذكى بينهم عوامل المنافسة الأدبية ومحاولة الإجادة.

وقد ظهر كثير من الشعراء يدعون إلى التقوى والصلاح والزهد في الدنيا شاعر**البوصيري** الذي لم يعد إمام هذا النوع وترسم بردته الكثير وعارضوه فيها حيث تعد قصيدته البردة أهم القصائد بين المدائح النبوية "فهي أولاً قصيدة جيدة، وهي ثانيا أسير قصيدة في هذا الباب، وهي ثالثا مصدر وحي الكثير من القصائد التي أنشأت بعد **البوصيري** في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم–"[2].

إنّ بردة **البوصيري** كان لها أثرها العميق في الجماهير عامة، حيث كانوا يحفظونها، ويعظمونها كما أن الشعراء قاموا بمعارضتها، بتضمينها تشطيرها، وتخميسها...، كما نتج عنها ظهور فن البديعيات، فقد افتتن ابن جابر بقصيدة البردة وظهر أثرها في شعره...وشغل نفسه بمعارضته البردة ولكن أي معارضة؟ لقد ابتكر فنا جديدا هو البديعيات...[3].

تفنن "**ابن جابر الأندلسي**" في قصيدته في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – واقتصرت فيها عاطفته في حب النبي والشوق إليه وذكر صفاته الخُلقية والأخلاقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره وأثره،" فلقد أسهب ابن جابر الأندلسي في المدحة النبوية بتوظيف الصور البديعية شأنه شأن الشعراء الذين سبقوه والذين أولوا هذا الوجه البديعي عناية خاصة".

[1] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] – نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ص71.

[3] – ينظر، المرجع نفسه، ص72.

والأمر لم يتوقف عند ابن جابر، بل قوبلت بديعيته بالإعجاب والشرح والمعارضة، وهكذا بقيت الحلقة مستمرة، ونجم عنها قصائد وبديعيات بديعة وشروح كثيرة ، فتغدو شجرة وارفة الظلال، تتفرع أغصانها وتعلو فروعها، ومن ثم تعود بالثمار على الأدب والشعر خاصة، وتثري المكتبة العربية.

فعلا المعارضة فتحت بابا واسعا نحو التجديد والحوار والجدل فهذا من شأنه أن يوسع دلالات النص، إذ يغدو نصا مفتوحا، وبالتالي تختلف الرؤى ويبقى النص واحدا، وتتشعب الأفكار ويحتدم الصراع ساعتها تنساب الصور انسيابا، حيث" أثار الشعراء فيما بينهم ثائرة المنافسات الأدبية فكانت حافزا آخر من حوافز شاعريتهم ودافعا من دوافع إقبالهم على نظم الشعر ومزاولة الفن"[1] محاولا كل طرف التفوق في تنويعها وتنميقها.

كان الشعراء يتبارون فيما بينهم، إذ تربط بينهم روابط مودة وصداقة فيعبرون عن مشاعرهم وعواطفهم بواسطة الشعر، إذ احتدمت المنافسة بينهم وكان ولعهم بالبديع وصناعته تكأة كبيرة جعلت الشعراء يتبارون في نسج القصائد على منوال معين مع إضفاء الجدة في النموذج أو القالب وهذا ما حصل مع بردة البوصيري خاصة – بالإضافة إلى لامية كعب كثير من القصائد– فقد انبهر بها العلماء والشعراء إذ كانوا "مسبوقين بالروح البوصيرية ولم يمض عصر إلا والبردة فيه طرازا"[2].

هذا النهم الشعري وحب النظم، كان من العوامل التي جعلت كثيرا من الفنون تظهر وانسحب ذلك على فن البديعيات، خاصة وإن حبهم للبديع والزخرفة اللفظية كان كبيرا إلى درجة الشغف.

فالبديعيات فن رائق وشائق، أخرجته ظروف وعوامل مختلفة بشكل متميز، كما أنه تجسيد وترجمة لعصر متفرد بمناحيه، "فهي برزخ بين الشعر الرائع والنظم التأليفي"[3] فإنها أشبه ما تكون جسرا نحو لغة سحرية غارقة في الذات وجنونها، اذ هي تعبر عن الأنا – الآخر الذي هو الوعي الجمعي لظرف طارئ مستجد، " فالأدب فن ولذلك له علاقة خاصة بالحياة حوله، إنه ينظم الحياة ويعطيها

[1] –نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ص72.

[2] – نورة بن سعد الله، (البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي بديعية ابن الخلوف القسنطيني نموذجا)، ص34.

[3] – علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي (نشأتها، تطورها، أثرها)، ص51.

معنى، كما أنه يعبر عنها حسب "**إملي ديكنسون"Emily Dickinson** العطر يأتي من الورد، أو قيمة العطر بالنسبة للورد **the attartron the rose** لذلك إذا كان باستطاعتنا فقط أن نأول قصيدة على نحو صحيح سنكون في موقف أفضل يسمح لنا بفهم العالم"[1].

والأمر ذاته بالنسبة للبديعيات فعلاقتها بالمجتمع والبيئة والعصر، فهي تحتاج إلى من يستخلص العطر من ورودها مختلفة الألوان ويكشف عن اللآلئ المكنونة في صدفاتها.

فالبديعيات تعد فنًا جديدًا، انبثق عن تفاعل مجموعة قضايا أو عوامل فهي لم تأت هكذا على حين غرة، بل لها جذور عميقة تتصل بالمجتمع، لذلك تبقى محط جدل ونقاش فهي تستجدي كل دارس ليخرجها من غياهب الجب-جب- العصر المملوكي-وينفض عنها غبار السنين والطمس والتعتيم.

3. التصوف والبديعيات:

يمكن أن نقول أن التصوف من أبرز المناهج والمدارس العملية والعلمية التي عُنيت بجانب التزكية، والتربية على مدى التاريخ الإسلامي، وقد نشأ مصطلحه أواخر القرن الثاني للهجري وكان طابعه حينئذٍ صوفياً، والدعوة إلى الزهد، والتّخلق بالأخلاق الفاضلة، وعُرف أصحابه بالعُبّاد والزهاد، كما يعتبر التصوف جزءا أساسيا في تراثنا العربي الإسلامي باحتوائه على وسائل بديعية، وهذا ما تنبه إليه القدماء والمحدثون ونستدل على ذلك بما قاله: "**سليمان حمودة**" في كتابه "**البلاغة العربية**": "إن نمو وازدهار مثل هذه البديعيات جاء ثمرة طبيعية لنمو وازدهار التصوف الإسلامي فكرا وسلوكا في القرن السابع، نتيجة الظروف المؤلمة التي مرت بالمسلمين طوال القرنين السادس والسابع الهجريين من حملات أعداء المسلمين والتتار والصليبيين على قلب العالم العربي الإسلامي"[2]، والجدير بالذكر، إن هذه الدوافع والظروف القاسية، تمكنت من ازدهار التصوف وتطور البديعيات، وكانت تلك الدوافع

[1] – نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون ، ص73.

[2] – نورة بن سعد الله، البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي بديعية ابن الخلوف أنموذجا، ص41.

التي امتدت جذورها بالظهور وعملها على التحريض، على نشأة ونمو هذا الفن مستمرة بالظهور، إلا أن المسلمين والعالم العربي الإسلامي ساعد بصموده على استمرار رحلته في تراث هذه الأمة.

"وعلى الرغم من التشابه الواضح في المعاني الصوفية، والبديعية، إلا أننا نجد شيئا من عدم الوضوح أحيانا مع اتفاق حول المعالم الإسلامية، إذ نجد في البديعيات بعض المصطلحات الصوفية: التجريد- الالتفات-تجاهل العارف -التسليم-الطرد...إلى غير ذلك"[1].

فالتشابه الواضح في عوامل نشأة التصوف والبديعيات، التي كانت في بداية الأمر نزعات فردية تدعو إلى العبادة والزهد في الحياة إلا أن في صدر الإسلام" لم يكن في حاجة أن تنشأ هذه الظاهرة فالمسلمون جميعا أهل تقوى وزهد وعكوف على الطاعات منقطعين لله تعالى"[2].

وفي القرن الثاني للهجرة تطور أمر التصوف، وإقبال الناس على الدنيا وأصبح التصوف بمعنى التقشف والإعراض فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال. والزهد ولبس الصوف كما شهد التصوف بعض الانحرافات نتيجة ثقافات وتيارات أجنبية من هندية وفارسية إذ أصبح" التصوف كتيار ديني منحرف في التناول الفكري وممارسة العقيدة داخل المجتمع الإسلامي بعد مرحلة القرنين الثالث والرابع الهجريين"[3].

وعلى الرغم من أن القرنين الثالث والرابع الهجريين يمثلان العصر الذهبي للتصوف، إلا أنه تنوعت بعد ذلك المشارب والاتجاهات الصوفية فأصبحت تشكل خطرا على الفكر الإسلامي والعقيدة وذلك لما شهده من انحرافات وانغماس المسلمين في الشهوات والملذات.

إلا أن التطورات التاريخية الحاصلة في حياة المسلمين التي تميزت بظهور البدع، أدت إلى إزدهار التصوف وذلك نتيجة التشققات والانقسامات التي شهدها العالم الإسلامي، فقد شهدت البيئة الإسلامية ظهور مذاهب جديدة، فظاهرة التصوف مثلا" أحدثت سلبيات وانحرافات في السلوك،

[1] – ينظر، نورة بن سعد الله، البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي بديعية ابن الخلوف أنموذجا، ص41.

[2] – المرجع نفسه، ص41.

[3] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أدت إلى ظهور أجيال بعد ذلك في المجتمع الإسلامي وهي معزولة تماما عن ثقافة دينها وعن العمل بأحكام كتاب ربّها، ومن هنا لم نستطع الصمود أمام غزو الأفكار الوافدة، وما استتبعها بعد ذلك في غزو معظم ديار المسلمين"[1].

وإن المتأمل إلى حال الأمة العربية يلحظ مظاهر الضعف والبعد عن حقيقة الدين مما أفقدها شيئا كبيرا من هيبتها وعزتها، ما جعلها محل أطماع للأمم الأخرى، مما نتج عن ذلك غزو الأفكار والديار، فكانت النتيجة انهيارا وفشلا نتج عنه خلخلة واضطراب وتراجع نحو الخلف، و" الحاجة إلى يد تمتد له فكان التوسل بصفي هذه الأمة"[2].

وإن تجسيد المثل العليا سواء في الصوفية أو في البديعيات تحمل في طياتها رموزا وإشارات فإن انعكف الصوفي على نفسه بالعبادة والإقبال على الله بشظف وخشونة من اعتراض، وامتناع بالإضافة إلى تعدد مذاهبه، بالرغم من الإتفاق حول بعض المصطلحات كونهما متلازمان في غالب الأحوال وهو اللاوعي الجمعي ومحاولة استحضار الثابت الغائب[3].

وخير من مثَّل هذا الفن خير تمثيل وبلغ به الرتبة الأرفع في تاريخ الشعر العربي وهذا ما نجده عند " **شرف الدين البوصيري**" ولا نقول ذلك على سبيل الإطلاق بل تحققاً من بعد قراءة مطولة وتأمل بعيد فمن خلال مطالعة ديوان تبيَّن لنا أنه يحتوي على ما يناهز الثلاثة آلاف ومائتي بيتا من الشعر بينهما ألف ومائة لأربع قصائد في مدح النبي هي أشهر قصائده ومدائحه... وهناك قصائد أخرى في المدح النبوي، تسمح لنا بأن نقول: إن شعر المدح النبوي وحده يفوق سائر الأغراض الشعرية التي يدور عليها شعر البوصيري أي يكاد يبلغ ثلثي ديوانه، وهي نسبة كبيرة جدا إذا قسناها بما لدى الشعراء الأخرين سواء في العصر المملوكي أم في غيره من العصور الأدبية"[4].

[1] – نورة بن سعد الله، البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي بديعية ابن الخلوف أنموذجا، ، ص42.

[2] – المرجع نفسه، ص42.

[3] –ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] – ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، تحقيق ودراسة مصطفى قرمد، جروس برس، طرابلس، ليبيا، ط1، 1990م، ص118.

إذ تعتبر قصائد البديعيات من أحسن القصائد في مدح الحبيب المصطفى-صلى الله عليه وسلم- .

ويعد " القرن الثامن الهجري عصر التأسيس بالنسبة للبديعيات حيث تأخذ المنظومة البديعية شكلها الأساس وتحدد ملامحها العامة، منذ أن نظم صفي الدين الحلي (ت885 هـ) قصيدة "الكافية البديعية في المدائح النبوية" معارضا بها بردة البوصيري الشهيرة"[1]التي نظمها على بحر البسيط وعلى رويّ الميم حيث يقول في مطلعها[2]:

أمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بِذِي سَلَمِ مَزجْتَ دمْعًا جرى من مُقْلةٍ بِدَم

وزناً ورورياً وموضوعا، وزاد عليها أن جعل كل بيت من بديعته مثالا لنوع من البديع وشاهداً عليه، وربما اتفق في الواحد منهما النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم، والمعتمد منهما على ما أسس البيت عليه.

ومطلع بديعته الحلي التي يبلغ عدد أبياتها مائة وخمسة وأربعون بيتاً في بحر البسيط، وتشتمل على مائة وواحد وخمسين نوعا من محاسن البديع وجعل كل بيت منها مثالا شاهدا على ذلك وقول في مطلعها[3]:

إنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسل عنْ جِيرةِ العَلَمِ وَاقرَ السِّلامَ على عُربٍ بذي سَلَمِ

"وقد شرحها الحلي شرحا وافيا أسماه: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع"[4].

في مقابل ذلك نجد بردة البوصيري في مدح خير البريّة أحد أشهر القصائد وأعظمها في نتاجه الشعري وقد أجمع معظم الباحثين على أن هذه القصيدة من أفضل قصائد المديح النبوي إن لم تكن

[1] – مصطفى الصاوي الجويني، البديع في علم البديع ليحي بن معطي، تحقيق ودراسة محمد مصطفى أبو شوارب، دار الوفاء، القاهرة، مصر ط1 ،2003 م، ص 33..

[2] – ديوان البوصيري، نظم شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعد البوصيري، تحقيق ودراسة، محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1955م، ص190.

[3] – ديوان: صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1339م، ص685.

[4] – مصطفى الصاوي الجويني، البديع في علم البديع ليحي بن معطي، ص33.

أفضلها، كما أنها مقتبسة من أشعار الصوفية إذ يقول "**زكي مبارك**" أن " البوصيري استأنس عند نظمها بميمية ابن الفارض"[1] والملقب "بسلطان العاشقين" التي جاءت على بحر البسيط ويقول في مطلعها[2]:

هَلْ لَيلى بَدَتْ لَيلاً بذي سَلَمٍ، أمْ بَارِقٌ لاحَ في الزَّوْرَاءِ، فالعَلَمِ

ومطلع قصيدة البوصيري التي نظامها على بحر البسيط حيث يقول فيها[3]:

أَمِنْ تَذكُرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هبَّت مِنْ تِلْقاءِ كَاظِمَةٍ وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْماءِ من إضَم

فقد اشترك المطلعان في ذكر: فذو سلم-وهبوب الريح - و إيماض البرق مما اشترك فيه الشاعران مع وحدة الوزن والقافية، يضاف إلى هذا أن ابن الفارض قال[4]:

يا لائِمًا لاَمتي في حُبِهِمْ ،سَفَهًا كفَّ الملاَمَ فَلَوْ أَحبَبْتَ لَمْ تَلُمِ

فتابعه البوصيري فقال[5]:

يَا لاَئِمِيَ فِي الهَوَى العُذْرِيّ مَعْذِرَةً مِنِّي الَيْكَ ولَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُم

إن هذا التشابه البارز في البيتين معنىً ونظماً يحقق لنا تجانساً وتناغما وجدانياً، وذلك بما تحمله من معاني –داخلية-وخارجية-أدت بكثير من المسلمين إلى الزهد في الدنيا والابتعاد عن ملذاتها والاتجاه إلى عبادة الله وحده، وهذا ما استدعى حديثنا عن التصوف.

[1] – زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص51.

[2] – ديوان، ابن الفارض، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1234م، ص128.

[3] – ديوان، البوصيري، ص190.

[4] – ديوان، ابن الفارض، ص129.

[5] – ديوان، البوصيري، ص191.

كما تشتمل البردة على عدة عناصر: "ففي صدرها النسيب، ويليه التحذير من هوى النفس ثم مدح النبي والكلام عن مولده، ومعجزاته، ثم القرآن والإسراء، والمعراج، والجهاد، ثم التوسل والمناجاة"[1].

وخلاصة القول إنّ التصوف والبديعيات، برزخ بين الشعر الرائع والنظم التأليفي، فلا يستطيع المرء أن يدرجها تحت أي منها، كما أنهما أثر أدبي صادق يحمل في طياته خيرا كبيرا في معالم الحياة العربية الإسلامية، مما ساهم في رسم صورة العصر وتحديد خطواتها العريضة، فهو عصر ذهبي على الرغم ممّا قيل عنه عصر الإنحطاط.

4. مضمون البديعيات:

اتفق الباحثون على نحو ما مرّ بنا من قبل، على أن البديعية قصيدة مديح غالباً ما تكون في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وغالبا ما تكون على بحر البسيط، ومن قافية المتراكب وروي الميم المكسورة، ويقوم كل بيت منها شاهدا على الفن البديعي الذي يمثله، مع التزام بعض هذه البديعيات بالتورية باسم الفن البديعي في لفظ البيت الذي يتضمن معناه[2].

وعلى الرغم من تعدد البديعيات وكثرتها، "حتى ليذكر منها بعض الباحثين تسعاً وتسعين بديعية، فلقد تحددت مراحل تطور هذا الفن من النظم البديعي في ثلاثة أطوار، أما الأول فهو طور الإختراع وقد كان ذلك على يد السليماني المتوفي سنة 680 هـ في قصيدته البديعية، التي نظمها على بحر الخفيف في المدح وعلى روي اللام، وأما الثاني كان على يد صفي الدين الحلي المتوفى سنة 850 هـ، فقد نظم بديعيته على بحر البسيط وروي الميم المكسورة، وفي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، جاعلا كل بيت مثالا لنوع من البديع أو أكثر و أما الطور الثالث فقد كان على يد عز الدين

[1] – زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص152.

[2] – ينظر، مصطفى الصاوي الجويني، البديع في علم البديع ليحيى بن معطي، ص32.

الموصلي المتوفي في سنة 879 هـ، فقد حاكى الصفي فيما صنع وأربى عليه بالتزام التورية باسم النوع البديعي"[1].

كما نجد أيضا تداخل هذا الفن مع كثير من الفنون والاتجاهات الأدبية على اعتبار أن البديعيات دراسات في علم البديع فهي تعطي صورة واضحة لهذا الفن بالإضافة إلى المديح النبوي وألوان البديع المختلفة.

ويعتبر أن محمد سلطاني " موضوعات المديح في هذه البديعيات توزعته ثلاث اتجاهات أولها: في المديح النبوي ويشمل معظم البديعيات، ثانيهما: في مديح غير نبوي، ثالثهما: في مدح عيسى عليه السلام وغيره من الرسل الكرام وفي الاتجاه أربع بديعيات ثلاث قام بنظمها الخوري اللبناني **أرسانيوس الفاخوري**، ونظم الرابعة الخوري الحلبي **نيقولاس بن نعمة الصائغ**، وجدير بالذكر أن بين هذه القصائد بديعية خاصة بأنواع البديع الهندي السيد **غلام علي أزاد البلكرامي**"[2]، ففي طليعة هذه الاتجاهات نجد ثلاثة مواضيع مختلفة للبديعيات حيث أصبح المدح النبوي فنا قائما بذاته، فأعطاه الشعراء كل عنايتهم وقريحتهم وثقافتهم.

وبهذا" يتسع مفهوم البديعية، ويختلف، ثم إن هذا التنوع في المدح يدلنا على أن كل أمة تود إرساء ثقافتها وحفظ تراثها، فتحاول نشره بطريقة أو بأخرى سواء كان النظم العلم البديعي أو غيره"[3]، فهذا المدح لم يخْلُ من الصور السابقة، فتعمقت جذوره وامتدت ثقافته، واحتل مركز الصدارة في اهتمام الشعراء.

فصفي الدين الحلي يرسم معالم (البديعية) من خلال إعلانه عن مضمون قصيدته بقوله: فنظمت مئة وخمسة وأربعين بيتا، من بحر البسيط، تشتمل على مئة وخمسين نوعًا من محاسنه [أي البديع].. وجعلت كل بيت منها شاهداً ومثالاً لذلك النوع.

[1] – ينظر، مصطفى الصاوي الجويني، البديع في علم البديع ليحيى بن معطي، ص37-38.

[2] – نورة بن سعد الله، البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي بديعية ابن الخلوف أنموذجا، ص63.

[3] – المرجع ننفسه، الصفحة نفسها.

إذاً قوام (البديعية) عند صفي الحلي

أ. أن تكون قصيدة طويلة تتعدى مئة بيتِ.

ب. أن تكون على بحر البسيط.

ج. أن يذكر الشاعر في كل بيت فنا بديعيا.

د. كل هذا مضاف إلى المديح النبوي[1].

أما ابن حجة فقد اكتفى بوضع الشروط التي يجب أن تتوفر في المقدمة الغزلية للبديعية والتي تنطبق على جميع المدائح النبوية بقوله: " إن الغزل الذي يصدر به المديح النبوي يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضاءل ويتشبب مطربًا بذكر سَلع ورامة وسَفح العّقيق والعذيب والغُوير ولعلع وأكناف حاجر، ويطرح ذكر محاسن الرد والتغزل في ثقل الردف ورقة الخصر، وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار وما أشبه ذلك، وقلّ من يسلك هذا الطرق من أهل الأدب"[2].

يمكن القول: إن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كان الجسر الذي ربط به شعراء المديح أواصر النجاة من براثن الدنيا.

"فالبديعيات قصائد منظومة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي تجربة شعرية متميزة في نسيج لغوي مختلف لما تضمنته من روافد ومنابع ثقافية خاصة، ومن حيث الموضوع لا تخرج عن كونها قصائد في المديح ولكنه مديح خاص يتوسل به صاحبه لنيل هبات الممدوح وعطاياه، لكن ليس من جوائز غنية تمتلئ بها خزائن الملوك والخلفاء والأمراء في قصورهم الفاخرة، التي يتمسح المادح ببلاطها... ولكنه مديح يرجو صاحبه، يتوسل ويشكو ويبكي، لنيل شفاعة تخلصه يوم القيامة من سعير جهنم، وهذا مطلب عزيز وغاية بعيدة لا يصل إليها مؤمن تقي أحسن صنعا في حياته الدنيا ولم يفرط في جنب الله..."[3].

[1] – ينظر، علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي، (نشأتها، تطورها، أثرها)، ص41.

[2] – المرجع نفسه، ص41-42.

[3] – ينظر، نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ص75.

ولعل من نافلة القول أن الغاية من المدح، باحتوائه على أنواع التأليف البلاغي، وبهذا يتعجب القارئ بأنواع البديع الواردة فيها حتى إنه " يتوهم الباحث معها أنها منظومات في فنون البديع، وهي في الواقع ليست كذلك بل إنها توظف البديع لخدمة غرضها الأسمى، وهو تجديد الصلة بشفيع الأنام وآله وصحبه الكرام، الذين سكنوا البقيع وأناحو بسلم وذي سلم، وهي الأماكن المقدسة التي طالما تغنى بها البديعيون وتلذذوا بذكرها على ألسنتهم"[1].

فهذا الموضوع لم يلقَ حظه من الدراسة على امتداد المساحة العربية —مشرقا ومغربا–على الرغم من قيمته المعرفية والبلاغية الوجدانية والإسلامية والمرتبطة بتراثنا العربي.

ثم ان البديعية بمعناها الدقيق هي التي تكون في مدح الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وإظهار الشوق لرؤيته وزيارته والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته، كما تتميز بروحها العذبة ودقة ألفاظها وبراعة نظمها، هي التي ولدت من رحم البردة وهذا ما ذهب إليه **"علي أبو زيد"**، " هي مديح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأبرار وهي عناية روحية وغرض شعري معروف ومع ذلك تعداد أنواع البديع التي حصلت عند ناظم البديعية وهو غرض علمي"[2].

فالبدايات الأولى للبديعيات لا تختلف عن مطالع القصائد القديمة إذ ساروا على نهجهم مع إضفاء الألق والجدة في الشكل والمضمون حيث:" تشتمل البديعيات على ثلاث فقرات أساسية تشكل مجتمعة غرض البديعية الرئيس، الذي هو مدح النبي صلى الله عليه وسلم"[3].

ثم إن البديعيات من خلال ما ذكرنا سابقا هي جملة ما نظم من قصائد تدور حول لونين من

الحقائق المديح النبوي، والتأليف البلاغي، كما أنها تسلك نمطًا واحدًا كما يقول **"لخضر عيكوس"**: " وكل بديعية لابد أن تشتمل ثلاثة أقسام رئيسية، يتمحور الأول حول ذكر الأماكن المقدسة والديار العامرة بأطياف الأحبة الذين سافروا وتركوا الشاعر يشكو ألم الفراق، ولوعة الصدّ

[1] – ينظر، نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ص75.

[2] – علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي (نشأتها تطورها أثرها)، ص47.

[3] – نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون ، ص75.

والهجران، في القسم الثاني يمدح الشاعر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فيصور سيرته العطرة المنطوية على عظيم معجزاته ونوادر كرماته كما يمجد انتصاراته ويعرج على ذكر آله وصحبه، وشمائلهم كل ذلك بأسلوب من الصنعة البديعية، أما القسم الثالث فعادة ما يكون دعاء تؤمل شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون"[1].

ولا يختلف اثنان على أن النّسيب جزءٌ مهمٌ في مقدمة قصيدة المدح، وبناء على هذا يصبح النسيب خالصا للتعبير عن ذات الشاعر، فيستهل قصيدته بذكر الأحبة وما يعانيه بعد فقدانهم وأماكنهم المقدسة والديار العامرة بأطياف الأحياء وما يطفئ وجدانه إلا بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصفه وتعظيمه وتعداد صفاته وخصاله، مع ذكر معجزاته، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة الأماكن المقدسة، مما يؤكد على انشغال فكر وعقل الإنسان المؤمن بالكائن الميت الحي، محمد صلى الله عليه وسلم، راجيا منه الشفاعة، والصفح، والغفران، يوم لا ينفع مال ولا بنون، فهي الغاية التي يود كل شاعر الوصول إليها، فلا سبيل للنجاة إلا بهذا الجسر البديعي المدحي فهو "يمتاز عن سائر المخلوقات أنه سيد ولد آدم، وأنه خاتم رسل الله وأنه الشفيع والمشفع، وأنه الممدوح...، وأنه الأسوة الحسنة والمثل الأعلى لكل إنسان"[2].

يكاد المرء يدهش عندما يرى أن هذا الفن [البديعيات] طرأ على فنون الشعر العربي ودام فترة طويلة، فقد استهوتهم وفتحت لهم المجال للتعبير عن انفعالاتهم، فهو إنتاج أدبي ضخم شأنه شأن أي ظاهرة لم تجد تطورها في وقته بل وجدت عوامل وإرهاصات ساعدت على بروزه، ثم تعدد الجهود بين مقلد ومجدد فيها، كما يحتاج إلى من ينفض الغبار عنه إذا البديعيات لم تكن سبباً في ضعف الشعر بل كانت عاملًا إلى ارتقائه في الشكل والمضمون إلى حد كبير.

[1] – نورة بن سعد الله، البديعيات ومضمونها ونظامها البلاغي بديعية ابن الخلوف أنموذجا، ص64.

[2] – نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ص77.

الفصل الثاني:بديعية ابن الخلوف "استرواح القبول بمدح طه الرسول دراسة في المضامين و الأنظمة البلاغية"

تمهيد:

- مضامين بديعية "ابن الخلوف القسنطيني"
- المقدمة الغزلية
- مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم
- الدعاء والتضرع
- النظام البلاغي في بديعية ابن الخلوف
- تمهيد
- الموسيقى الخارجية
  - الوزن او الإيقاع
  - القافية
  - الروي
  - التصريع
- الموسيقى الداخلية: ومن ضروبها
  - الجناس
  - الطباق
  - الترديد
- الصورة الشعرية
  - الإستعارة
  - التشبيه
  - الكناية
  - الإقتباس

- **تمهيد:**

يعتبر المدح من أهم الأغراض الشعرية الرئيسية التي تناولتها القصيدة العربية ونظم فيها شعراء الجاهلية شعرهم فيسعى الشّاعر الى قول الشعر الجيد في مدح الأشخاص المرموقين أو الكرماء إلى مدح الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وذلك بتعداد خصاله وصفاته ومعجزاته، مع الإشارة بمكانته، وغزواته، والصلاة عليه تقديرا وتعظيما وتسمى هذه القصائد – بالمولديات – أو البديعيات وتكون مُحلَّاة بألوان البديع وهذا ما ستحاول الدراسة التطبيقية الوقوف عليه في إحدى قصائد شاعرنا الموسومة بـ:" استرواح القبول بمدح طه الرّسول" من ديوانه "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" من حيث تنوع مضامين هذه البديعية، ونظامها البلاغي الذي صيغت فيه هذه المضامين.

أ. مضامين بديعية "ابن الخلوف القسنطيني":

1.المقدمة الغزلية:

احتلت المقدمة الغزلية مكانا متميزا في هيكل القصيدة العربية القديمة، وهي من أهم المقدمات التي يفتتح بها الشّاعر قصيدته في العصر الجاهلي، والعصور التي تلته، حيث كانت لوناً من أغاني الشعراء كما تعتبر متنفسا للتعبير عن ما يثير عَواطفهم من حب، وحزن، وألم وحنين:" ولقد وجد المتصوفة في قاموس الشعراء العذريين بغيتهم في التعبير عن تجربتهم الروحية، وفق مصطلحات مشبعة من فيض التجربة الصوفية، إذ تُطلعنا القصيدة الصوفية منذ نشأتها على تبنيها أسلوب الغزل الإنساني المأثور في الشعر العربي في صورته الحسية والمعنوية متخذة منها ستارا لغويا وأسلوبا لمعاني الحب الإلهي"[1].

وقد احتلت المقدمة الغزلية حضورا واسعا في شعر "ابن الخلوف" في قصيدته "استرواح القبول بمدح طه الرّسول" التي نظمها على (بحر البسيط)، وقد امتدت هذه المقدمة الغزلية على أبيات عددها ستة عشر بيتاً يستنجد فيها الشّاعر بمحبوبه، فهي تعكس ما يعانيه من ألم، وحزن، وحرمان، فما عليه إلا أن يعبر فيها عن مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم، فقد مزج الشّاعر معاناته بين الدمع والتجريح، إنها نوع من المناجاة الحزينة فنرى الشّاعر يعبر فيها عن لوعة اشتياقه، ذلك أنّه محروم حتى من نومه، فمن شدة هواه وشوقه يبكي بحرقة ولكنه لا يظهر ذلك، وكان بكاؤه داخليا، فالكِبرْ لديه جعله يخشى أن يُرَى دمعه، وهو لا يبكي المكان بل يتحسر على بقاءه وحيدا، بعيدا عن أحبابه فيود العودة إلى ماضيه، وكل هذا دليل على أن هذه المقدمة الغزلية إنما هي تعبير رمزي لحبه و اشتياقه للكائن الميت الحي في قلب الشّاعر، محمد صلى الله عليه وسلم الذي يودّ القرب منه إلى درجة الإتحاد، فالمقدمة الغزلية إذا مناجاة روحية، تعبر عن صمود الشّاعر وتحديه للهوى ويأبى الخضوع له

[1] – سعاد الوالي، الرمز الأنثوي في القصيدة المولدية، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين لابن الخلوف القسنطيني (نماذج منتقاة)، مجلة المخبرْ العدد التاسع، المركز الجامعي ميلة، الجزائر، 2013م، ص141.

وذلك بتقبله كل ما كتب الله له، فهي مقدمة مفعمة بالحب والأشواق الروحية لأماكن كانت تجعل المحبوب قريباً من ذات الشّاعر، فهو يصور لنا ذكريات تعانق شغف الروح التي تتوقُ لمحبوبه، ولكن أي محبوب انه شفيع الأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فنرى الشّاعر يشكو آلامًا من نوعٍ خاص ودموعه التي طالت جفناه، فهي كالنار الموقدة التي تحرق كل شيء، كما عبر عن حبه العذري الذي بالغ في كتمانه، كما أنه لم يقصد ذاته حتى يتحدث الشّاعر عن هواه، بل يكشف عن شيء جوهري، إنه الحنين لحبيب الله وصاحب الشفاعة يوم الحساب، وتتجلى هذه المضامين في الأبيات الست عشرة الأولى من القصيدة، ومنها قول الشّاعر[1]: (بحر البسيط)

لشاهدِ الدمع بالتجريح تعديلُ وما لجفني يحُلْوٍ النوم تعسيلُ
وللْهوَى حَاكِمُ قَاضٍ عليَّ قضَى وما بهِ قد قضىَ، واللَّه مقبولُ
قضَى بسفكِ دمِي في الحبِ محتكِما أماَ درَى أنه عنْ ذاك مسؤُولُ؟!
يا ليْتَ لو صانهُ كيْماَ أشاهدُهُ، وهل يصان دمٌ في الحبِّ مطلولُ؟!

عبر الشّاعر في هذه المقدمة الغزلية عن مشاعر الود وتباريح الهوى فشعره ينبض بالحياة، ومعاني الحب، والغزل والشوق للمحبوب وهذا ما أشار إليه بمجموعة من الرموز التي مزجها بين الصدق والإخلاص والعزم، والغرام، إنه الحنين لسيد الخلق الغائب عنه والحاضر في وجدانه وذلك في قوله[2]: (البحر البسيط)

يا نفسُ ديني بدين الحب واجتَنِبي ما زخرفتْهُ على السمْعِ الأقاويلُ
وَلازمي الصِدقَ والإخلاصَ فيه تَريْ هدْياً بهِ سَفَهَتْ تلكَ الأبَاطيلُ
فالحب بالصبِّ أولى، والغرامُ لهُ أهلٌ تُحاشيهم فيه التَّضاليلُ

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، تحقيق وشرح وتعليق وترجمة وتقديم، العربي دحو، دار الألمعية للنشر والتوزيع قسنطينة (الجزائر)، ط3، 2014 م، ص137.

[1] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وهنا يكمن تسيب الشّاعر في جانبه الروحي الذي هيمن على الجانب المادي، حيث أفرط في هذه الأبيات في حبه الذي يطغى فوق نوازع البشر، المحبوب ارتقى الى درجة العشق دون أن يشغل نفسه بسمع الأباطيل والتضاليل.

وهنا تكمن خصوصية المطلع الغزلي من خلال العاطفة السامية، الجانب الروحي، الذي هيمن على المضمون المادي واستوعبه، فلا نجد إلا نفحات روحية تُنبئنا عن واقع ألم الشّاعر، فجاءت بديعيته متماهية إلى القداسة التي تشيع في استهلالها وفي تماسكها الدلالي، الذي يحيلنا إلى إيديولوجية فكرية.

كما تبقى معاناة الشّاعر متواصلة يعبر فيها عن حزنه الشديد وبكائه، وحسرته التي طالما سكنت عقله إذ يراوده حلم العودة إلى الماضي، وإلى ديار الحبيب سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، الذي طالما ترك في نفسه شوقا وأسى عميقا لا يشفى إلا بلقائه وفي ذلك يقول[1]: (البحر البسيط)

مشتّت البال يأوي لذي سكنٍ ولا يميلُ لِرسْمٍ فيه تعطِيلُ
كأنَّمَا قَلْبُه بالنَّارِ منبعثُ ودمْعُهُ الصلبُ بالطوفانِ مَوصُولُ
ما تمسكُ الدمع جفنَاهُ التِي انْبَجَسَتْ إلَّا كما يمسكُ الماءُ الغرابيلُ
دمعٌ شكوتُ له نارِي، فقالَ: ومَا أغْنِي، وأمْرِي كمَا عاينتَ مهمُولُ؟

يعبر الشّاعر في هذه الأبيات عن مدى تشتت باله، وعن فؤادهُ المكتوي بنار الحب، كما كان يركز على البكاء وأثر الفراق الذي أهلك نفسه لأنه متشوق لرؤية ذلك المحبوب، الذي عَذَبَ جوارح المشتاقين ويصور لنا حاله بعاطفة روحانية سامية، وكيف يكتوي بنار الحب المكبوت والشوق الذي أصبح دموعاً كالطوفان تجري دون توقف، فنفسية الشّاعر هنا انفجرت من شدّة شوقه لخير الأنام

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص138.

محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ولا أحد يستطيع أن يوقف هذا الألم إلا عند ملاقاته، فهو يشكو بدمع الذي ألهب وجدانه فشعوره بالقهر جعل دموعه تنهمر بغزارة في كل مرة، في سبيل حبه، وعليه فإن هذه العواطف الجياشة والبكاء على الماضي هي صورة من رثاء النفس التي وظفها الشّاعر لأنها تولدت من عمق معاناته، وما يتربص به من حزن، هذا فضلا عن كون المقدمة الغزلية أكثر قدرة على استيعاب مشاعر الشّاعر، وأكثر قابلية في تلبية رغباته وعواطفه اتجاه المحبوب وأصحابه.

بنى الشّاعر بداية القصيدة على مقدمة غزلية جسد فيها طابعه الحسي، في ملامح مكنونة بالحب والغرام من ثم كشف عن معاني متتابعة، تحمل معنى الحزن على فراق الأحبة وشوقه إليهم فشخصها، ورأى فيها مثالا وشاهدا على حبه وذلك من خلال أبيات القصيدة التي امتدت من البيت السابع عشر(17) إلى غاية البيت الثامن والثلاثين(38) منها في قوله[1]: (البحر البسيط).

لا تطمعنَّ بأَمرٍ ليس تدركهُ إن الثغورَ إليها يَنْتَهِي القيلُ
حتَّامَ أكْتُم والأشواق تحبرُ عن مطويِ سرٍّ لَهُ بالعقل تعْقِيلُ
شربت كأس الهوى صرفاً، فأسْكرني وكيف يصحُو مع الإسْكارِ مَثْمُولُ؟!
وعاذل جَاءَ يلْحانِي فقلتُ لهُ: دعنِي وشأنِي، فإنِّي عنكَ مشْغولُ

ويعبر الشّاعر في هذه الأبيات عما تُواجده نفسه التي كانت خاضعة لعوامل الذكرى والاشتياق، مستحضرا ديار الأحبة وأماكنهم، ممَّن كانوا له، مؤنسين فهم حياته وقصده بعد أن شعر بالوحدة والهجران، وتتجسد معاناته من خلال هذه الأبيات، حيث يتمنى بقاء الألفة والسعادة لكن كل السبل انقطعت، فما عليه إلا أن يفرغ شوقه في مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم وأحبابه، إذ نحس من هذه الأبيات طاقة وجدانية كبيرة، ناجى بها محبوبه فالشّاعر رصد الذكريات الحزينة التي ظلت تلاحقه بسبب بقايا الديار التي ظلت خاوية على عروشها، ففقدت جمالها تاركاً أهواؤه مشتاقة

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص138.

لعودتهم فهم الذين يشْتق منهم حديثه ويشكو لهم عن مواجعه وصبابته وهذا ما نجده في هذه الأبيات التي قال فيها[1]: (البحر البسيط).

أنتم حيَاتِي، وإيناسِي، ومَطْلبِي، وأنتم القصْدُ والمأمُولُ والمسُّولُ
غِبتمْ فغابَت تماثيلُ الجَمالِ، ولو لُحتمْ لقامتْ بكم تلك التمَاثيلُ
وكَيْفَ أكْحِل جفْنِي بالمنامِ، وما مسافةُ البُعْدِ فيمَا بيْننَا مِيلُ
يا بَارقا منْ ثنَّيا العقيقِ أضَا كيمَا يحاكي ثغوراً حشْوُها كُول

يستشعر الشّاعر حزنه وألمه، بوقفة تأمليّة عابرة وتشوقٍ لديار المحبوب، وذلك بكتمه لدموعه دون البوح بها واعتبار هذا الكتم شيئاً حتمياً لأن حزنه كان داخلياً لا يشعر به إلا من تذوق ألمه، فيقف ناصحاً قلبه بكلمات تريح عقله قائلا[2]: (البحر البسيط).

لا تطمعنَّ بأمَرٍ ليس تدرِكُهُ إن الثغورَ إليها ينْتهِي القيلُ
حتَّامَ أكْتُم والأشواق تحبرُ عنْ مطوبي سرٍّ له بالعقل تعقيلُ

تتجسد بعض الدلالات التي وظف فيها الشّاعر ألواناً بديعية مختلفة مازجاً إياها بالغزل وذكر المحبوب، فنجد بريق الدموع في كلّ مرة لأن فيها تخفيفاً لِما يكابده من شوق وحنين لزيارة البقاع المقدسة، باثاً هذه الأشواق من بعيد متغنياً بالحجاز وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم في مثل قوله[3]: (البحر البسيط)

خفّضْ فما دمعك المنْهلُّ من مقلي ولا حَسَناك بنار الوجدِ مشعُولُ
ولا تشبّبْ بألحانِ الحجازِ، فمَا حبلُ آدِكاركَ بالمحبُوبِ موصوُلُ
وكيْف أصغِي لعذْلٍ، والفؤاد شجٍ والسَّمْعُ في صَمَمٍ ، والعقل مذهولُ؟

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 138.
[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فلا تثَقِلْ في الحَبِيبِ، فَلِي باللّوْمِ، والحب تخفيفٌ، وتثقيلُ

عبّر الشّاعر في هذه الأبيات عن بكاءه وألمه واكتوائه بنار الوجد في سبيل من تعلقت به روحه فشخّص أماكنهم وكل شيءٍ يتعلق بهم إذ هو يسأل نفسه باستفهام استنكاري يعرف جوابه فهو لا يصغي لنفسه اللاّئمة وأحزانه لأن قلبه وعقله مشغولين بمحبوبه وشفيعه محمد صلى الله عليه وسلم، كما يعبر عن حالة نفسية عميقة في ظل انكساره الرّوحي الظاهر والمخبوء في الواقع، وعليه "إن الإبداع يتضح تدريجياً مع كل بيت ولون بديعي، حتى إن القارئ يشعر بنوع من الغموض والسّحر الذي يجذبه لفهم اللّون الوارد بين تورية وذكر له، يبقى المعنى متناغماً ومتوائماً مع الغرض، والجانب المعرفي العلمي المتعلق بعلم البديع"[1].

كما يبقى الإنفعال الشعوري بدوره في ثنايا القصيدة بين حبّ كامن في جوارح النّفس وفسيفساء بديعية، تتباين فيها الألوان حيث استطاع الشّاعر بخبرته وتجربته الشعرية الفذّة أن يسلسل المضامين، التي كانت لُحمة دلالية وعلى الرّغم من معاناة الفراق والغياب الطارئ، والمفجع، يبقى الاتصال الرّوحاني والتّمسك بالحاضر الغائب، في الوجدان وفي هذا يقول الشّاعر[2]: (البحر البسيط)

موضوعُ سهدي ودمْعِي إنْ أمَرْتَ بِهِ يا ناظري فعلَى عيْنيَّ محْمولُ

علِّلْ بوعدٍ، ولا تبخل بطيفِ كرًى وحَلِّ عمْريَ تفصيهِ التعاليلُ

ويلاهُ من ساحر الأجفَانِ، وجنته في العين عذْلٌ، والأحتناءُ سجِّيل

لا شك في أن قارئ هذه الأبيات، يشدّه هذا التّغزل المختلف والحب الصّادق فالشّوق يضيء الجسد والدّموع التي لا تتوقف فكلما أمرها بالكف، ازدادت انهماراً، وفضحت عشقه وهواه، من ثم ينبغي أن نلاحظ هذا التّفوق الإبداعي، "لابن خلوف" في عرضه لمشاعر الحب، ومواءمة معانيه وتشكيلها في صورة متميزة إذ تتناغم الألفاظ، وتنساب الكلمات انسياباً موحية بمعنى عميق، ما يزيد

[1] – نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ص81.

[2] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 140.

النّص الشّعري إثارة تلك الاستطرادات التي نجدها بين الحين والآخر في قول الشّاعر[1] **(البحر البسيط)**

تجانسَ الحسنُ في تكوين صُورتِهِ فقدُّه عاسلَ، والثّغرُ مَعْسولُ

وطابقَ الوصف فيه كنْهَ هَيْأتِهِ بالفَرْق مرتفعٌ والفرع مسْبُولُ

مبْلبَلُ الصَّدْغِ فاحتْ عَوارضهُ لأن ريْحانَها المخضَّر مبلولُ

يبدو أن هذا الاستطراد أو الانحراف، يفك البناء الخارجي للنص الشّعري، ومع ذلك فإن هذا الانتقال والتعارض، يحقق دلالية للنّص، ويضفي عليه رونقاً وترابطا مع الأبيات الموالية، فهو يود أن ينوه بمكانة المحبوب وعظمته حيث تهيم روحه في آفاق رحبة تناجي الحبيب الغائب موجها خطابه إلى العذال الذين لاموه على حبه قائلا[2]: (البحر البسيط)

يا عاذلي إنَّ مُرَ العدْلِ فيه حلاَ لما أُعيدَ وللتكْرِير تعسيلُ

كرِّرْ على مسمعِي ذِكْر الحبِيبِ فلِي على العوِيلِ لفقْدِ الذّكرِ تعْويلُ

ولا تُقصرْ فإنَّ القولَ أطِيبُه عن الحبيبِ حديثٌ فِيهِ تطويلُ

بحقِّ عينيه إلَّا عدت مبتدِراً لمعهدٍ فيهِ للمحيولِ تمثيلُ

ولا تَخفْ صدَّهُ إن عدتَ ثانيةً فالعُود أحْمدُ، والإقبالُ مأمُولُ

تحيلنا هذه الأبيات الى ما يعانيه الشّاعر من هيام ورحيل عن الذات الى عوالم أقرب حيث المحبوب، إن الشّاعر هنا يسمو بحّبه إلى درجات العشق لدى الصّوفية من خلال الذوبان في المعشوق والاستغراق فيه، لتحقيق الذات والوجود، إذ المحبوب الرّسول صلى الله عليه وسلم، الحاضر الغائب نموذج يحاول من خلاله الوصول إلى عالمه المثالي المنشود فلا عجب إذا فنى وجوده ، فقد صار هائماً في مجال ربّاني يثير الشَّجن والألم، حيث يتجلى كل هذا في موقفه من العذال، وتسليمه للأمر الواقع.

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص141.

[2] – المصدر نفسه، ص141، 142.

وَكأنَّ رغبته في الوصول إلى المحبوب الحقيقي شفيع الأمة، تجعله يسلك طرقا توصله إليه، إذ الوصال غايته، ونيل مرضاه هدفه فهو غائب واع في حضرة العالم الآخر، يقول الشّاعر[1]: **(البحر البسيط)**

فإن رأيتَ حبيبي واجْتَمعْتَ به فسَلْهُ عن مستَهامٍ عَاله الغُّولُ

وإن رأَيتَ البساطا، فاستلم يدَهُ عينِي، وسلمْ سلاماً فيه تبجيلُ

وهذا الغياب يقابله حضور وذهول أمام المحبوب، الذي ينبهر بصفاته، وذلك في قوله[2]: (البحر البسيط)

وأضربْ عن الذكر صفحا، وارجيه فعسى يرْثِي لمنْ جسمه بالسقم مهزولُ

ولا تكنْ آيسا من روح رحمتهِ فربَّمَاَ أعقب التعسيرَ تسهيلُ

أفدِيهِ من شاذِنٍ في طيَ نَاظِرِهِ صيدٌ ضوارٍ لها من هديهِ غيلُ

وهذا التناسق بين الألفاظ، والتناغم ولَّد معانٍ عميقة كانت أكثر تأثيرا، حيث رسم لنا الشّاعر صورة زاخرة بالجمال والإبداع الفني، إذ نجد مثلا: وأضرب عن الذكر صفحا...، جسمه بالسّقم مهزول، ولاتكن آيسا..."أعقب التعسيرَ تسهيلُ"، صيدٌ ضوارٍ لها... فكلها معانٍ تتميز بعمق الدلالة.

فالألفاظ تنير الفكر وتحرك الوجدان، وتلخص الإنفعال الداخلي المنبجس في الصدور، ويتجسد ذلك في قول الشّاعر[3]:

لا أخْتشِي فيه من عذل يفندِني فللْحشَا بعليل الشّوق تعليلُ

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص142.

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كل هذا ينم عن موهبة الشّاعر وملكة إبداعه، حيث يبدو أن "ابن الخلوف" متميز في غزله، مترفعٌ عن كل ما هو مادي.

ونخلص إلى القول إن هذه البديعية تفردت في قسمها الغزلي الأول بهذه الصورة الجميلة والمبتكرة كالترديد في قول الشّاعر (بعليل تعليل)، التي أبدع الشّاعر فيها بالجمع بين الألوان البديعية وروعة هذه الصور في زخرفة مثيرة، تجعل الدلالات تتشابك وترحل بنا إلى عالم آخر، حيث المحبوب الحقيقي حيث وصل الشّاعر بانفعاله قمة القمم في الجمع بين المراد، ووصال المحبوب – صلى الله عليه وسلم– والتأليف البلاغي، وكذا الغزل إذ يقول[1]:

وكيف أخْشَى صروفَ الحادثاتِ، ولِي بمدْحِ أحمدَ تنويهٌ، وتنويلُ؟

2. مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم:

إنها الفقرة الثانية أو المفتاح الثاني الذي يمكن الولوج من خلاله إلى كوامن البديعية إذ تشتمل على مضامين متباينة ومتقاربة، ومتواشجة، فهي متعلقة بسيرة الرّسول —صلى الله عليه وسلم–بميلاده وصفاته ومعجزاته، وغزواته وآله وأصحابه، إن ذكرى الرّسول —صلى الله عليه وسلم–باقية إلى الأبد فهو طوق النجاة، والرجاء، والأمل، إنه أجَلُّ وأعظمُ من أن تكتب فيه القصائد، فتتفتق القريحة وتنسج الأنامل خيوطاً ذهبيّةً، في حدائق غناء يقول الشّاعر في مدح الرّسول — صلى الله عليه وسلم–[2]:

شخْصٌ، هو الجوهرُ، الفردُ الذي جمعتْ فيه المعاني، فمفعولُ ومنقولُ
أرجٌّ أبلجٌ، ساجي اللحظِ، مبتسمٌ عن سلْسَبِيلٍ، وعن مسك، وعن لُولُ
أغرّ، أزهرُ، أقنى الأنف، قامتهُ فيها انعطاف، وفي خديه تسْهِيلُ

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص142.
[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

قمة الانفعالية التّعبيرية التي تجسّد موقف الشّاعر من خلال الإشادة بصفات الرّسول-صلى الله عليه وسلم-وشمائله، في نوع بديعي يحمل المعاني وبصورة متجانسة، تنساب معها انسياباً موحية بإشارات لم تتسنَّ لأي من البشر، ويعبر عن ذلك بقوله[1]:

مبرَّؤُ القوْلِ، صَافي القلب طاهره لأنه بِزُلال الخلدِ مغسولُ
مكمّل الذاتِ، رحب الراحتيْنِ فتًى له فؤادٌ على الخيرات مجبولُ
أنشأهُ مولاه منْ نورٍ، وقدَّمه كأنه غُرة، والخلق تحْجِيلُ

إنّه تواصل رائع تجلّى في البديعية من خلال التّلاحم الذي يصل إلى التفصيل في صفات الرّسول -صلى الله عليه وسلم-إنّه نَظْمُ جميلٌ لأنواع بديعية تعبر عن تميّز الممدوح، فقد "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير"[2].

صور كثيرة متلاحقة ومعارف شتّى وأحداث تاريخية إسلامية حرص الشّاعر على إبرازها في لوحة فنيّة رائعة موائماً بينها وبين الألوان البديعيّة، مما ينم عن براعة، ومقدرة لا نظير لها متدرجاً في معانيه ليصل إلى غايته يقول[3]: (بحر البسيط)

أوفى النبيّين، مبدَا الرسل خاتمهمْ أليس منه لهم بدءٌ، وتكميلُ؟
إن كان عيسى أعادَ الميت منتعشاً فكم لطهَ حيٌّ، ميتٌ ومقتولُ؟!
أو كان موسى أرِي الطُّوفان منغلقاً فقد أرِي البدر طه وهو مفصولُ
وقدْ جرى النيل في مصْرٍ ليوسفَ كم بين الأصابع منه قد جرى نيلُ؟

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين ، ص142-143.
[2] – الحسن بن مسعود البَغويّ، الأنوار في شمائل النبي المختار، حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه "العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي"، دار المكتبة، دمشق سوريا، ط1، 1995م، ج1، ص161.
[3] – المصدر السابق، ص143.

توحي هذه الأبيات أن الرّسول –صلى الله عليه وسلم–أتى رحمة للعالمين، فقد خَصّه بالمعجزات دون الأنبياء وشمائل لم تجتمع لدي أيّ من البشر، فهو يمتاز عن سائر المخلوقات، أنّه سيد ولد آدم وأنّه خاتم رسل الله، وأنه الشفيع المشفع، والممدوح المقدس يقول الشّاعر[1]:

وكلهم أصبحوا في بحْرِهِ نِقَطاً أو زُهْرَ أفقٍ له بالشمس تهليلُ

وعنه يروون ما نالُوهُ من شرفٍ بجمل فيه للأرَى تفَاصِيلُ

فبالبراق له، والحوضِ تقدمةٌ، وباللواء لهُ، والتاج تفضيلُ

وبالشفاعة في المخلُوقِ قاطبة له مقام، له بالحمد تأثيل

علاَ ارتفاعا على كل العباد علاً وهل ترى فاضلاً يعلوه مفضولُ؟!

فتوارد الألفاظ الإسلامية يدلنا على ثقافة الشّاعر الإسلامية فالبديعيّة ليست تأليفاً بلاغياً فحسب، بل الأهم انها تعود إلى سيرة الرّسول – صلى الله عليه وسلم–، في شكل زخرفي فَذْ كما أننا نجده يتحدث عن معجزات الأنبياء الآخرين: كتكليم الله لموسى – عليه الصلاة والسلام – وإبراهيم الذي نجاه من لظى النّار، وذي النون الذي نجاه في اليم من أحشاء الحوت كل هذا والعاطفة تبقى متأججة فالممدوح عظيم والغاية تربو فوق كل الغايات، يقول الشّاعر[2]:

وباسمه قَرن الله اسمَه فزَكا فضْلاً على كل خلق فيهِ تفْضِيلُ

وخصَّه بمعان ليس يحصرها قولٌ ولو كَثُرَتْ فيه الأقاويلُ

ضُرُوبُ أوصافِهِ جلتْ دوائرها عن بسطِ قوْلٍ ترويه الأفَاعِيلُ

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص144.

[2] – المصدر نفسه، ص145.

قمة التّجسيد والانفعال، من خلال الإشادة بصفات الرّسول – صلى الله عليه وسلم – في نوع بديعي يحمل كل المعاني، صور كثيرة ومعارف شتّى وأحداث تاريخية، حرص الشّاعر على إبرازها في لوحة فنيّة رائعة وائمت الألوان البديعيّة يقول[1]:

لو لمْ تصنْ حرمَ البطاحِ حرمتُه ما رد ابْرَهةٌ عنها، ولا الفِيلُ
جاءُوا بكيْدٍ لهدم البيتِ، فانقلبُوا على الوجوه كعصفٍ، وهو مأكولُ
ترميهمُ صمُّ أحجار مسموَّمةٍ بالنار ترسلها طيرٌ أبابيلُ

نلاحظ توارد الألفاظ الدينيّة المقتبسة من القرآن فالشّاعر هنا قد اقتبس من الآية الكريمة: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيْلَ (3) تَرْمِيْهِمْ بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيْلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5) ﴾[2] الموجودة في سورة الفيل التي نزلت على النّبي محمد لتذكير قبيلة قريش بما فعله الله بأصحاب الفيل الذين حاولوا هدم الكعبة وهم أبرهة الحبشي وجيشه، وفيها تذكير بقدرة الله الذي أهلكهم، وردَّ كيدهم، وأبطل تدبيرهم بَعد أن كانوا في ثقة بعددهم وعِدّتهم، ولم يَفدهم ذلك شيئاً.

فهذا التلميح والاقتباس من القرآن في غاية الروعة وتوظيفه كان بشكل متناسق مما يعني توافق السياق الشعري والسياق القرآني في الدلالة.

تشكيل بديع، ينم عن مقدرة وبراعة فنيّة، إذ جمع أحداثاً تاريخية، موائماً فيما بين اللّون البديعي والمضمون، مشيرا إلى معجزاته — صلى الله عليه وسلم – فقد تفرد بمحاورة الكائنات، فبين اقتباس وعقد نجد أُلقاً وسمواً وعاطفة لا تخبو، صور جميلة يتوقف عندها مطولاً، وسيرة هي نبع الحياة[3] فقصة الرّسول – صلى الله عليه وسلم – مع الضّب "وذلك الضّب الذي جاء به أعرابي في مجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال: واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضّب.. واخرج

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص147.
[2] – سورة الفيل، الآية 3، 4، 5.
[3] – ينظر، نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ص85.

الضّب من كفِه، وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله وسلم! فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : يا ضب... فأجاب الضب بلسان عربي يسمعه القوم جميعا: لبيك وسعديك يا زين من وافى قيامه...فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: من تعبد يا ضب؟ قال الضب: الذي في السماء عرشه، وعلى الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: فمن أنا يا ضب؟ ...فقال: أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين ...لقد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك، فآمن الأعرابي"[1].

لقد حرص الشّاعر على تشكيل بديع، جمع فيه أحداثاً تاريخية إسلامية تنم عن قدرته وتمكنه من فنِّه ففي حديثه عن المعجزات إشارات عميقة إلى الرّوح القوية، إلى حبيب الله، الذي ميّزه بكثير من المعجزات، فكان أرقى وأرفع ثم أن الشّاعر لم يتوقف عند هذه المعجزة، فقد أورد في الأبيات إشارة إلى معجزة العنكبوت يقول[2]:

وفي ثبير، وفي ثور، وغار حرَا نصر، وفتح، وتأييد، وتأثيلُ
باض الحمام، وحاك العنكبوت على غار عليه لستر الله تجليلُ
وفيه قد قال تأنيبًا لصاحبه لا تحزنَنّ فوعْدُ الله مفعولُ
كفَالةُ الله صانته كفايتُها وهل يُنَاوَى فتًى بالله مكفولُ
وفي سراقة إذ ساح الجواد به هديٌ لباغِي نجاة، وهو موصولُ

في هذه الصدد يقول محمد متوّلي الشّعراوي في كتابه معجزات الرّسول: "وفي غار حراء والرّسول مهاجر إلى المدينة...وصل الكفار إلى باب الغار...وقال قصاص الأثر: إن آثار الأقدام قد انتهت هنا...(رأى عند مدخل الغار) ...وقال أبو بكر رضي الله عنه...لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه

[1] – محمد متولي الشعراوي، معجزات الرسول، مكتبة الشعراوي الإسلامية، (د.ط)، (د.ت)، ص82.
[2] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص150.

لرآنا...ولكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال له: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما"[1] فرسول الله الكريم يريد أن يلفت أبا بكر إلى أنهما في معيّة الله تحيط بهما عنايته، والله سبحانه وتعالى لا يرى ولذلك فإن كل مَنْ في معيّته الله لا يراهم أحد ولا يستطيع أن يعرف مكانتهم، ولذلك فإنّه مهما نظر الكفار فإنّهم لن يَرَوْا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأبا بكر الصديق.

واستمر الشّاعر في ذكر الانتصارات التي حقّقها الرّسول وأصحابه، بذكره للغزوات وهي معارك وقعت بين المسلمين وقبيلة قريش في قوله[2]: (البحر البسيط).

وفي حنيْنٍ وفي بدرٍ وفي أحدٍ إبطالُ ما موَّهتْ تلك الأباطيلُ
وفي قريظةَ الأحزاب كم ظهَرت وفي هوازن للهادِي أفاعيلُ
وفي مَرِ يَسِيعَ كمْ ألقت صَوارمهُ من مفْصل فيه للطغيان تأصيلُ

فما نلاحظه أن توظيف كل هذا في البديعيّة شيءٌ يثير الفكر والعقل معًا، خاصة وأن كل ذلك أخرج في شكل بلاغي معطر برياحين الألوان البديعيّة.

حيث لم يتوان الشّاعر لحظة في تصوير شخصية الرّسول – صلى الله عليه وسلم – ومدحه وذكر صفاته، وصَاحَبَتْهُ أحداثٌ عِظامٌ، عبّر الشّاعر عن كل ذلك مسترسلاً ومستلهماً من التّراث الإسلامي، ومن سيرة نبينا – عليه الصلاة والسلام – يقول[3]:

هو الحبيبُ الذي لابد منه وقلّ هو الشفيع الذي ما عنه تحويلُ
وهو الشهيدُ، الرؤوفُ، البر، من شهدتْ بصدق مبْعثهِ الغر، الأنَاجيلُ
وهو الكريم على الله الكريمِ فمَا شئتم فقولوا إذا أطنبتم، قُولُوا

[1] – محمد متولي الشعراوي، معجزات الرسول، ص86.
[2] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين ، ص150.
[3] – المصدر نفسه، ص156.

يبقى الممدوح مثاراً للإبداع والتّفنن، إذ يتسامى على كل البشر، فهو مؤيد بالنور منذ ولادته إلى يوم مماته، إنّه مشرّف من الله تعالى في كل آن وحين، ويتدرج الشّاعر في هذه المعاني ليصل إلى الغاية وهي الشّفاعة حيث يقول الشّاعر[1]:

فيصرخونَ جميعا، يا محمدُ، قمْ واشفع لنَا فلك الإقبال مبذولُ
فعند ذَاك يقول الهاشميُّ: نعمْ أنا لَهَا، وهي لِي والحق معمولُ
ويغْتدي نحو ساق العرش مبتدراً، ويبتدِي بسجودٍ فيه تبتيلُ

يعبر الشّاعر في هذه الأبيات عن أنَّ الرّسول – صلى الله عليه وسلم –هو الشّفيع المشفَع والأسوة الحسنة، والمثل الأعلى لكل إنسان، حيث يقول[2]:

أنت الشفيع، فكنْ لي حينَ يَنْزِلُ بي مِنْ عالِمِ الغيبِ أمْرٌ فيه تنكيلُ
وانظرْ إلى بعين البر تكرمةً وامنُنْ علي فمنك المنُّ مأمُولُ
وجُدْ عليَّ بما أوتيتَ من كرمٍ إن الكريم على الإكرَام مجبولُ

لقد تجاوز الشّاعر الإبداع للوصول إلى أعلى قمّة إنسانيّة، تتصارع فيها الأفكار وتتباين الأسرار التي يود كل واحد كشفها والنّفاد على أعماقها، فتكون النّفس البشريّة واحدة منها، إذ ينتقل الشّاعر من طلب الشفاعة إلى التعريج للفقرة الثالثة والأخيرة ليعترف بذنوبه راجياً وداعياً ومتوسلاً [3].

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص158.
[2] – المصدر نفسه، ص160.
[3] – ينظر، نورة بن سعد الله (البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي بديعية ابن الخلوف القسنطيني نموذجا)، س 118.

3. الدعاء والتضرع:

يعبّر الشّاعر في هذه المحطة عن مدى تمكن حب النّبي في قلبه، معبراً عن ولائه له، راجياً الصفح والغفران، إنها الغاية التي يودُّ كل شاعر الوصول إليها، فلا سبيل للنجاة إلا بهذا الجسر البديعي المدحي يقول الشّاعر[1]:

يا ربُّ وانصر لوَا الإسلام، وارحم حِمَاي رسم الهدايةِ أن يعرُوه تبطيلُ
وارفعْ منار مقاماتِ التُّقى فَبِهِ للزيغِ، والبغيِ تنكيسٌ، وتعطيلُ

إنها رغبة جامحة في نيل الشّفاعة، وتمتد المعاني في محاولة نيل العفوِ، في قول الشّاعر[2]:

واختمْ بخيرٍ، وسامحْ والدِيَّ، وكُنْ لِابْنِ الخلُوفٍ، فمَا لِي عنك تحْوِيلُ
واحسنْ خلاصِي، فإنِّي يا منَى أملِي باللّهْوِ، والزَّهْوِ موثوقٌ، وموصولُ

وما ينبغي ملاحظته هذا التّفوق في عرض الطلبِ فقد وَاءَمَ بين المطلب والمعنى في شكل رائق ثم إنَّه ضمَّن بديعيّته في الأبيات الأخيرة الصّلاة الدّائمة على الرّسول – صلى الله عليه وسلم –

الذي تؤمل شفاعته يوم لا ينفع مال ولا بنون يقول[3]:

وصلِّ تتْرَى على طه، وشيعتهِ ما حُرِّرَتْ في معانيه الأقاوِيلُ

والشّاعر في كل هذا قد أبدع فعلا وحقّق جمالاً فنياً، مجسّداً لفن إسلامي ذو أُلقٍ خاصٍ سواء أكان من حيث التّشبع بالمعاني الإسلاميّة، أم جودة الصّياغة، بحيث كان التّلاحم بين المحطات البديعيّة، معبراً عن مضمون جليل في شكل بديع.

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص160.
[2] – المصدر نفسه، ص161.
[3] – المصدر نفسه، ص162.

لقد تميّزت البديعية في مضمونها، بما تثيره من مشاعر الشّوق لدى المتلقي في المديح خاصة وهذا ما اختلفت به عن المنظومات التعليميّة، كما أنّها انفردت بأبيات رائعة وتصوير جميل وعاطفة صادقة، خاصّة وأنها ترتبط بمدح خير الأنام محمد عليه أكبر صلاة وسلام.

ب. النظام البلاغي في بديعية ابن الخلوف:

– تمهيد:

إن بديعية **"ابن الخلوف"** تشتمل على ثلاث مئة وسبعة وثلاثين بيتا، تتمازج فيها الألوان البلاغيّة في لوحة فنيّة مُوَائِمَة بين المصطلحات والشّعر، إذ يذكر النوع البديعي مع براعة توضيحه، وإبراز معناه من خلال البيت، وهكذا تتوالى الأبيات في أشكال مختلفة.

ومن هذا المنطلق ستحاول الدراسة رَصْدَ بعض الجوانب التي تضيء مواطن الجمال في البديعيّة إذ إن النص يحمل خصوصيّة فنيّة، من ثم ستكون الإشارة إلى البنيّة الإيقاعيّة أو الصوتيّة التي تجلّت من خلال الموسيقى الخارجيّة ودلالتها والموسيقى الداخليّة وتمظهراتها في البديعيّة إضافة إلى الصورة الفنيّة ممّا يجسّد إمكانيات لغوية لها تصور شكلي محدد في إبراز الناحية الدلاليّة والجماليّة، وفيما يأتي توضيح لكل نوع من هذه الأنواع:

1.الموسيقى الخارجية:

يعتبر الشّكل الموسيقي للقصيدة العربية من المكوّنات الأساسية في صياغة الشعر، وهذا الشكر يعتريه مدلولان متداخلان هما الإيقاع الخارجي، والإيقاع الدّاخلي اللّذان ينصهران أثناء صياغة التجربة الإبداعيّة للشاعر، وما يتلوها من مستويات التلقي في أحوال، ومقامات مختلفة، فالقالب الوزني والقّافويّ وجينات الإيقاع الدّاخلي يتخلّقان في رحم المعنى أثناء ولادة النّص الشّعري، ويتجليان أثناء التّلقي في حين أنّه لابد من التّمييز بين هذين المظهرين للموسيقى الشّعرية الخارجيّة التي يحكمها العروض وحده، وتنحصر في الوزن والقافية، والداخلية التي تحكمها قيم صوتية باطنية أَوْجَبْ من الوزن، والقافية والنّظامين المجردين، وكثيرا ما يتضافر الداخل مع الخارج من أجل تشكيل التركيب البديع، وإذا تجزأ النسيج الكلامي بالداخل وحده يكون أدنى إلى النّثرية، وإذا تجزأ بالإيقاع الخارجي

وحده يكون أدنى إلى النظميّة،[1] فالعلاقة الإيقاعيّة الداخليّة لا تقل وظيفتها الجماليّة عن العلاقة الإيقاعيّة الخارجيّة.

أ. الوزن او الإيقاع:

تندرج البديعية ضمن النّظم والتأليف، فقد ارتكزت على سبك أنواع البديع، فهي قصيدة من بحر البسيط، " سمي بسيطا لأنه انبسط عن مدى الطويل، وجاء وسطه فَعِلُنْ وآخره فَعِلُنْ ونقل عن غيره أنّه سمي كذلك لإنبساط أسبابه (أو مَفَاطِعِهِ الطويلة)، أي تواليها في مستهل تفعيلاته السُّباعية"[2] فهو متنوع التفاعيل، إضافة إلى ما يُحدثه من تنوع نغمي وتكوين إيقاعي، وارتفاع وهبوط في درجة الإيقاع الداخلي للكم الموسيقي.

من ثم تجسّدت انفعالات الشّاعر إيقاعياً من خلال البحر البسيط الذي يوائم هاته التجربة الوجدانية، إذ اقتصر عليه الشّاعر على امتداد بديعيته التي وصل عدد أبياتها إلى ثلاث مئة وسبعة وثلاثين بيتاً بروي اللاّم المضموم الذي أضفى إيقاعاً خاصاً، ولعل الصوت المنخفض المضموم يدل على الأسى والحزن والتحدي، إضافة إلى ان البحر هو من البحور المتينة وفيرة المقاطع التي تصلح للمواقف الفخمة (**المدح**) مما يترجم حذقاً من الشّاعر، وبراعة وتوفيقاً في اختيار هذا الوزن، من خلال سعّة استيعابه لمعاني المدح، ومناسبة الخصائص المعنوية لإيقاعاته (**الأعاريض**) لمقاصد البديعية وموضوعاتها المختلفة.

ولا يستقيم كاهل الوزن الشّعري بمعزل عن القافية التي سيتم الكشف عن خصائص استعمالها في بديعية شاعرنا كالآتي:

[1] - ينظر، جمال رقاب، عناصر تشكيل الإيقاع في ديوان – جنى الجنتين لابن الخلوف القسنطيني (التوازي التركيبي وتفاوت الأنوية)، مجلة تنوير العدد 03، سبتمبر 2017م، ص 16.

[2] – غازي يموت، بحور الشعر العربي عروض الخليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1992م، ص 64.

ب. **القافية:**

هي من دعائم الإيقاع الشّعري فلا يتم البناء الإيقاعي للشعر إلا بالوقوف عندها بحروفها إذ "هي الحروف التي يلتزمها الشّاعر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة، وتبدأ من آخر حرف ساكن في البيت إلى اول ساكن سبقه مع الحرف المتحرك الذي قبل الساكن"[1]، تقوم القافية بدور أساسي في الشّعر العربي، والقافية قرينة الوزن في هذا الدور، ولكن وضوحها السّمعي، وبروزها الصوتي جعل منها ملمحاً كاشفاً ومَعلماً دالاً، " إذ القافية ليست إلا عدة أصوات تتكون في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرّرها هذا يكوّن جزءاً هاماً من الموسيقى الشّعريّة"[2]، أي بمثابة الفواصل الموسيقية بتوقع السامع تردّدها، من ثم وفي محاولتنا تأمُّل قوافي البديعيّة، فإننا نلحظ من الوهلة الأولى تلك المغايرة التقفويّة، بداية بالقافية حيث وردت مطلقة مضمومة مؤكدة موحية لمعاني عميقة، فقد امتد حرف اللاّم المضموم في البناء الإيقاعي دالاً على تميّز الشّاعر في نسجه بحسن اختياره لما يتناسب وتجربته الشّعريّة، حيث كان صوت الحرف الرّوي المضموم، وكذا أغلب حروف القافية خير معبّر عن ذلك.

ج. **الروي:**

إن الروي هو أهم حروف القافية "وهو الحرف الذي تُبْنىَ عليه القصيدة، وتُنسب إليه فيقال: قصيدة بائية أو رائية، أو دالية"[3]، فلا يكون الشّعر مقفى إلا بأن يشتمل على ذلك الصوت المكرر في أواخر الأبيات يقول الشّاعر[4]: **(البحر البسيط)**

[1] – محمد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1991م، ص135.

[2] – إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، مصر، ط2، 1952م، ص 244.

[3] – محمد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، ص 136.

[4] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 161-162.

واحسِنْ خلاصِي، فإنِّي يا منَى أملِي باللَّهوِ، والزَّهوِ موثوقٌ، وموصولُ
وصنْ بَنِيَّ، وَإخوَاني، وعجْ كرَماً بالعفْوِ عنِّي فلي في العفْوِ تأميلُ
ووفّ ديني، وعاملْ بالرضَا فعسَى أعْطى بنيل الرِّضَا في العرْضِ توْصيلُ
وصلِّ تثرى على طه، وشيعتهِ ما حُرِّرَتْ في معانيه الأقاويلُ
ووَالِ سحْبَ للآل تكْرِمة ما لذَّ في السمْعِ للقرآن ترتيلُ

تشكل هذه الأبيات مقطوعة موسيقية متدفقة الألحان والأنغام، فقد بنى الشّاعر القصيدة على روي اللاّم المضموم وهو من الحروف المهجورة متوسط الشّدة، إضافة إلى كونه منحرف لأن اللسان ينحرف عند النطق به وهذا يتطابق تماماً مع انحراف شعراء الحداثة عن القيود التي التزم بها الأقدمون وحرف اللاّم يدل على الأسى والحزن والتحدي، ولعل في اختيار الشّاعر حرف اللاّم روي تعبيراً عن مدى انكساره، وانهياره الرّوحي، ثم استخدم هذا الحرف، وبثّه خلال أبياته، حتى أصبح مهيمناً على سائر الأبيات، بحيث لا تخفى قيمته الصوتيّة والروحيّة.

وجاء الروي المضموم للدلالة على الإستعلاء الذي يتطلبه موقف مدح خير الأنام (محمد صلى الله عليه وسلم).

د. التصريع:

هو ظاهرة عروضية، عرّفه البلاغيون بأنّه "أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول شعراً ونثراً، مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية"، ثم زادوا على هذا التعريف شرطاً آخر، وهو قولهم: "من غير مخالفة لأحدهما للثاني في الزيادة ولا في النقصان"[1]، ونجده في البيت الأول من القصيدة، ما يُكسبه إيقاعاً داخلياً وخارجياً وهو أيضا: "توازن الألفاظ مع توافق الإعجاز

[1] – عبد الواحد حسن الشيخ، البديع والتوازي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية كلية التربية، جامعة الإسكندرية، ط1، 1999م، ص 38.

وتقاربها"[1]، وذلك ليَبْدو أكثر خصوصية وقد وردت هذه الظاهرة في مطلع البديعية في قول الشّاعر[2]:

(البحر البسيط)

لشاهدِ الدمع بالتجريح تعديلُ وما لجفني يحُلْوٍ النوم تعسيلُ

في هذا البيت نجد التصريع بين لفظتي (تعديلُ، تعسيلُ) اللّتين توحيان بإيقاع خاص يتغلغل في النّفس، ويعطي نغمة موسيقية للقصيدة أو الشعر كما يلفت انتباه القارئ مما يجعله يتابع القراءة، إذ إن التصريع "هو ما كانت عَروض البيت فيه تابع لضربه: تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته"[3]، فالغرض منه استحضار الهواجس الشعرية واستثارة العواطف والدخول إلى القصيدة بإيقاع متواتر، يزيد من العذوبة أو السلاسة التعبيرية.

[1] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتحقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط1، 1999م ص 332 .

[2] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص137.

[3] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، حققه وفصله، وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ط5 1981م، ج1، ص 173.

2.**الموسيقى الداخلية:** ومن ضروبها:

أ. الجناس:

الجناس أو التجنيس هو محسن بديعي لفظي، واتفاق اللفظتين كتابة ونطقاً مع اختلافهما في المعنى، ويكثر استخدام التجنيس غالبا في الشعر، كما عرفه **"ابن رشيق القيرواني"** بقوله: "التجنيس ضروب كثيرة منها المماثلة، وهي أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى"[1]، ثم إن جوهر التجنيس يقوم على الاشتراك اللفظي وبالتالي يمثل ثنائية صوتية تتوافق فيها الصورة بين الكلمتين في القصيدة وقال عنه الجرجاني "أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين، إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً"[2] وقد يكون جناسا تاماً أو جناسا ناقصاً، ذلك أن "ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ولما وجد فيه مستهجن، وذلك ذم الاستكثار منه والولوع به"[3] وقد وظف الشّاعر **"ابن خلوف"** في بديعيته هذه الظاهرة اللغوية في مواضع كثيرة نذكر منها بعض الأبيات كما في قوله[4]: (بحر البسيط)

الطاعمون لما أبدى اليسار لهمْ الطاعنون لَما أخفى السرابيلُ

استخدم الشّاعر التجنيس الناقص: وهو اختلاف اللفظين في الحروف إما من حيث النوع، أو الهيئة، أو العدد، أو الترتيب، وهذا ما ورد في كلمتي **(الطاعمون–الطاعنون)** فالطاعمون في الشّطر

[1] – ابن رشيق، القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، حققه وفصله، وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل والنشر والتوزيع والطباعة، سوريا، ط5، 1981م، ص333.

[2] – الإمام عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، وعلق حواشيه، السّيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1 1988م، ص 4.

[3] –المرجع نفسه، ص5.

[4] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 154.

الأول تعني الذين يطعمون الفقراء والمحتاجين فهم أهل جود وكرم، أما الطاعنون من الطعن، وهو القتل، فهم المحاربون الأشداء.

ونجده أيضا في قوله[1]: (**البحر البسيط**)

لكنَّه جل قدرا أن يميل لِمَا فيه عن الحق تسويفٌ، وتسويلُ

نجد التجنيس ناقص في كلمتي (تسويفٌ-تسويلُ)، أما التسويفٌ فهي تعني تأجيل الأعمال والمهام إلى وقت لاحق دون إكمالها، والتسويلُ تعني تصوير القبيح بصورة الحسن.

وقد عوّل الشّاعر على طاقة التجنيس التام في التعبير وهو: أن يتفق اللفظان في نوع الحروف وحركتها، وعددها، وترتيبها، وأن يختلفا في المعنى، وهذا ما نجده عند "**ابن الخلوف**" في قوله[2]: (**البحر البسيط**)

عذَّبتَ قلبِي بسجِّيل الملاَمِ، فقلْ وأحرّ قلبِ تلَّظتْ فيه سجِّيلُ

فسجِّيل الأولى تعني الشوق والهيام الذي عذب قلب الشّاعر، وسجِّيل الثانية وهي مقتبسة من القرآن الكريم يقصد بها الحجر الذي يوقد فيه النار، ذلك أن المعنى الجامع بينهما هو الوِجد الشديد الذي يحرق حرقاً على نحو ما تلتهم النار كل شيءٍ توقد فيه.

ورد التجنيس بشكل كبير في بديعية "**ابن الخلوف**" إذ نجده يترعرع في كل أجزاء القصيدة، مما أحدث نغمة موسيقية وذلك ما يمتاز به من تكرار يسمح بتكثيف جرس الأصوات.

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 148.

[2] – المصدر نفسه، ص 139.

ب. الطباق:

هو محسن بديعي معنوي، وهو أن يجمع بين شيئين متوافقين، وبين ضديهما، وورد أيضا بأنه "هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام وقد يكونان اسمين أو فعلين"[1] وأطلق عليه أسماء عديدة منها: التطبيق، التضاد المطابقة، والتكافؤ، كما ذكره ابن المعتز عن الخليل (ت، 175هـ) أنه قال: "يقال طابقت بين الشيئين إذ جمعتهما على حذوٍ واحد"[2] وهو من السمات البديعية التي يلجأ إليها الشعراء ليكسبوا أشعارهم نوع من التزيين، وجاء في معجم المصطلحات: "هو الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة"[3] والطباق نوعان طباق الإيجاب وطباق السلب.

-طباق الإيجاب: "وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً".[4]

وهذا النوع حاضر في بديعية ابن الخلوف" في قوله[5]: (**البحر البسيط**)

فلا تَثقِلْ بلوم في الحبيبِ، فَلي باللوْمِ، والحب تخفيفٌ، وتثقيلُ

جمع الشّاعر في هذا البيت بين لفظتي (تخفيفٌ-تثقيلٌ)، المتناقضين معنوياً، ليعبر عن شوقه وحبه للرسول – صلى الله عليه وسلم –، فجمع حبه بين التخفيف والتثقيل، وهو لا يلقي اللوم على محبوبه ولا يثقل عليه بلومه، لأنه في سبيله يتحمل شوقه خفيفاً كان أم ثقيلاً، ومن صور الطباق أيضاً قول الشّاعر[6]: (البحر البسيط)

في ضمنهِ علَم ما قد كان قبلُ ومَا يكون بعد، وهل في الحق تخييلُ

[1] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص303.
[2] – منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، منشأة الناشر المعارف بالإسكندرية جلال حزي وشركاه، الإسكندرية، (د.ط)، 1986م، ص19.
[3] – محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، ط1، 2003م، ص 65.
[4] – المرجع نفسه، ص 68.
[5] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 139.
[6] – المصدر نفسه، ص151.

ورد في هذا البيت أيضا طباق إيجاب في لفظتي (قبل-بعد) وهي ظروف زمان، عبّر بهما الشّاعر عن حالِ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، بأنه صاحب الحق والمعرفة القبلية والبعدية التي خصه الله له بها دون غيره من البشر.

كما ورد الطباق الإيجاب في القصيدة نفسها في قول ابن الخلوف[1]: (**البحر البسيط**)

إن كان عيسى أعادَ الميت منتعشا، فكم لطهَ حيٌ، ميتٌ، ومقتولٌ؟!

ظهر الطباق هنا بين صفتين (**حيٌ–ميتٌ**)، وهنا يؤكد الشّاعر أن خاتم الأنبياء يتميز بكل الصفات التي تخطر على بال البشر وقد كان لهذا الأسلوب أثره الواضح في الإقتداء بخصال خير الخلق محمد – صلى الله عليه وسلم – ، ما جعل المراد يبلغ أثراً فنياً، ويؤثر في المتلقي موسيقيا، وذلك من خلال الجمع بين الشيء وضده.

ج. الترديد:

الترديد في الشعر، "هو أن يأتي الشّاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسيم منه"[2] وقد أسماهُ بعضهم التّعطف، كما أنه "ظاهرة صوتية قوامها التّكرار والإعادة، فهو يشكّل من زاوية النّظر هذه مظهراً إيقاعياً لعب فيه ذكر اللفظة ثانيةً دوراً موسيقياً حراً لا يتقيد فيه الشّاعر، – ولا الناثر– بمواضع من النظم معيّنة، وإنما تحدّد المواضع بمقتضى التّركيب والسّياق اللّذين يتناسبان طردًا مع إيقاع البحر المعتمد من قبل الشّاعر"[3] إذا الترديد سُنّة من سنن العرب في أشعارها يفرضها السّياق تجليةً للمعنى و تزكيةً له، وقد كثر التّرديد في الشّعر العربي حتى عده العلماء العربية مزيَّة من أهمّ مزايا الإبداع الشعري.

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 143.

[2] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، ص 333.

[3] – رشيد شعلال، ظاهرة الترديد في شعر أبي تمام–دراسة إيقاعية جمالية–، مجلة التراث العربي، العدد 90، 2003م، ص 69.

وقد ورد التّرديد في مواضع كثيرة في بديعية **"ابن الخلوف"**، وذلك بإعادتها في سياق النص حاملةً معاني مختلفة، وخير مثال على ذلك قول الشّاعر[1]: **(البحر البسيط)**

لِلْهوَى حَاكِمُ قَاضٍ عليَّ قضَى ومَا بهِ قد قضَى، واللّه مقبولُ

ردد الشّاعر كلمة **(قضَى)** مرتين في البيت نفسه، حيث أن اللفظة نفسها تكررت في الشطر الثاني وعلقت بمعنى آخر لارتباطها **(بقضاء الله)** بدلا من قضَى الأولى المرتبطة **(بقضاء الحب الذي هيمن على قلب الشّاعر)**، فعمد إلى تكرارها، لترسيخ هذا المعنى، أما من ناحية العناصر الصوتية فقد أدت وظيفة جمالية ناتجة عن الترديد الصوتي لحرف **(القاف)**، الذي وظفه الشّاعر **(ستة مرات)**، في البيت نفسه، وهو من حروف الحلقية، التي تحقق تجانساً وتناغماً في القصيدة، كما يعتبر من حروف القلقلة؛ أي اهتزاز الصوت ليسمع له نبرة قوية، ووجد صوت القاف في ألفاظ: **(قاضٍ–قضى–قد–قضى–مقبولُ)**، وهذا مما يجعل للترديد وقعاً سمعياً، وأثراً صوتياً في تحسين اللفظ وتأكيد الدلالة كما نجد أيضا في قول **"ابن الخلوف"**[2]: **(البحر البسيط)**

وهو الكريم على الله الكريمِ فمَا شئتم فقولوا إذا أطنبتم، قُولُوا

ردد الشّاعر لفظة **(الكريم)** مرتين في الشطر الأول، موظفاً البنية التكرارية في **(صفة الكَرَمْ)**، فاللفظة الأولى يقصد بها، أشرف الخلق رسولنا الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم –، أما **(الكريم)** الثانية هي من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، وقد حسن الجمع بين المعنيين لأن الرّسول من الصفوة المختارة التي تَصْدق عليها صفات البارئ وأسمائه، ما أدى إلى تحسين اللفظ وتأكيد المعنى.

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 137.

[2] – المصدر نفسه، ص 156.

3.الصورة الشعرية:

هي مصطلح نقدي حديث يدل على تركيب لغوي خيالي، يقوم على التجسيد والتشخيص يلجأ إليها الشّاعر للتعبير عن تجربته الشعرية ويكتفي الشّاعر فيها بتصور التشابه الظاهر والحقيقي بين الأشياء، والصورة الشعرية عند المحدثين هي :"كلّ حيلة لغوية يراد بها المعنى البعيد – لا القريب – للألفاظ، أو يغير فيها الترتيب العادي لكلمات الجملة أو لحروف الكلمة، أو يحل فيها معنى مجازي محلّ معنى حقيقي، أو يثار فيها خيال السامع بالتكنية عن معانٍ يستلزمها المعنى المألوف للفظ، أو ترتّب فيها الألفاظ أو يعاد ترتيبها لتحسين أسلوب الكلام أو زيادة تأثيره في نفس القارئ أو السامع"[1]، كما تعمل على إبراز موقف الشّاعر.

أ. الإستعارة:

هي وجه من وجوه المجاز اللغوي، واستعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة هي المشابهة، مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، كما هي" أفضل المجاز، وأول الكلام، إذ وقعت في مَوْقِعِهاَ، ونزلت مَوْضِعَها"[2] وهي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه (**المشبه والمشبه به**) ويعرفها عبد القاهر الجرجاني بأنها: "أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً، تدل الشواهد على أنه يختص به حين وُضِعَ، ثم يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم"[3] وتنقسم إلى قسمين استعارة مكنية واستعارة تصريحية، وقد وردت هذه الصورة

الشعرية في بديعية "**ابن الخلوف**" واستثمر طاقتها في توضيح دلالتها منها قوله[4]:

(البحر البسيط)

[1] – محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ص 65.

[2] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص 278.

[3] – الإمام عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص 22.

[4] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 154.

جرى الفرقدُ به دارا فزَّينه فلم يكنْ لحلاهُ فيه تعطيلُ

نجد في هذا البيت استعارة مكنية: وهي "ما حذف فيها المشبَّه به ورُمِز له بشيءٍ من لوازمه"[1].

شخص الشّاعر وشبه الفرقدُ أي، (**النجم**) وهو المشبه بالإنسان، وحذف المشبه به وهو الانسان مع ذكر لازمة من لوازمه دالة عليه مع وجود قرينة لغوية مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهي "**جرى**" بجامع "**السرعة**" على سبيل الاستعارة المكنية.

يقول أيضا[2]: (**البحر البسيط**)

شربت كأس الهَوى صرفاً، فأسْكرني وكيف يصحُو مَع الإسْكارِ مَثْمُولُ؟!

جسد الشّاعر "**كأس الهوى**" بالشراب الذي يُسكرُ، وهو المشبه، وحذف المشبه به وهو "**الشَرابْ**" وترك لنا لازمة من لوازمه دالة عليه وهي " **شربت**" مانعة من إرادة المعنى الحقيقي على سبيل الاستعارة المكنية.

كما وظف الشّاعر الاستعارة التصريحية: "وهي ما صرّح فيها بلفظ المشبَّه به"[3] ورُفِعَ بها "**ابن الخلوف**" الذوق البلاغي من بساطته إلى تجسيد الصورة المبتغى التعبيرُ عنها وذلك في قوله[4]: (**البحر البسيط**)

وهو الشهيدُ، الرؤوفُ، البر، من شهدتْ بصدق مبْعَثِهِ الغر، الأنَاجيلُ

وهي استعارة تصريحية، حذف فيها المشبه وهو الرّسول – صلى الله عليه وسلم –، وصُرح بالمشبه به (**الشهيدُ، الرؤوفُ، البر**) بمعنى أن الرّسول – صلى الله عليه وسلم – نبي الرحمة والرأفة، وقد تجلت

[1] – علي الجازم ومصطفى الأمين، البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، دار العارف، (د.ط)، (د.ت)، ص 77.

[2] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 138.

[3] – علي الجازم ومصطفى الأمين، البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، ص 77.

[4] – المصدر السابق، ص 156.

رحمته في أقواله وأفعاله، فهو أشرف المخلوقات وسيد البشر، وهي قرينة لغوية مانعة من إرادة المعنى الحقيقي على سبيل الاستعارة التصريحية.

ب. التشبيه:

التشبيه هو عقد مقارنة بين الطرفين أو شيئين يشتركان في صفة واحدة ويزيد أحدهما على الآخر في هذه الصفة باستخدام أداة التشبيه وهو أيضا: "صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأن لو ناسبه كلية لكان إياه"[1] وأركان التشبيه أربعة هي :"المشبَّهُ، والمشبَّهُ به، ويسميَّان طَرَفَيَ التشبيه، وأداةُ التَّشبيهِ، ووجهُ الشَّبه، ويجب ان يكون أقوى وأظهر في المشبَّهِ به منهُ في المشبَّهِ"[2] كما تنشأ بلاغة التشبيه من انتقاله من الشيء نفسه إلى صورة بارعة تتمثَّله.

ويتجلى في بديعية ابن الخلوف في قوله[3]: **(البحر البسيط)**

أنشأَهُ مولاه منْ نورٍ، وقدَّمه كأنه غُرة، والخلق تحْجيلُ

وظف الشّاعر في هذا البيت تشبيهاً مجملاً، وهو التشبيه الذي حذف منه وجه الشبه، حيث شبه الشّاعر الرّسول –صلى الله عليه وسلم –بالغُرة التي يقصد بها بياض الوجه، فذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه وحذف وجه الشبه، وهو بذلك يضيف إلى المعنى وضوحاً.

كما نجد في قوله[4]: **(البحر البسيط)**

أنت الحبيبُ، فقلْ أسمع، وسلْ لتَنَلْ وأشْفع، فعندي أنت مقبولُ

[1] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، ص 287.

[2] – علي الجازم ومصطفى الأمين، البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، ص 20.

[3] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 143.

[4] – المصدر نفسه، ص 158.

استخدام الشّاعر التشبيه البليغ وهو التشبيه الذي حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه، وظفه الشّاعر ليعبر عن شدة حبه وتعلقه بالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، إلى درجة الإتحاد ذلك أن حذف طرفي التشبيه البليغ (**المشبه والمشبه به**) يوحي بالتطابق والإتحاد بينهما وقوله أيضا[1]: **(البحر البسيط)**

كسته رونقها شمسُ الضحى فزَهَا كأنه جدول في الروض مصقولُ

وظف الشّاعر تشبيهاً تمثيلياً، وهو ما كان فيه وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور وبالتالي فالمشبه هو الرّسول، والمشبه به هو الجدول، بالإضافة إلى أداة التشبيه، ووجه الشبه صورة شيء جميل ينعكس جماله في الروض التي هي مكان تكثر خضرته وماؤه، فاستخدام الشّاعر في هذا البيت طاقة التشبيه التمثيلي ليبرز قدرته على رسم المشاهد وتخيل الصور الحية مما أكسب البيت حُسناً وروعة، ووضوحاً وعمقاً.

ج. الكناية:

هي تعبير لا يقصد به المعنى الحقيقي، وإنما يقصد به معنى ملازم للمعنى الحقيقي، والتعبير عن الماديات في قالب المحسوسات وقد عبر عنها البلاغيون في قولهم: "الكناية أو يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكي يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي إليه ويجعله دليلاً عليه"[2] وهي مظهر من مظاهر البلاغة، لا يصل إليها إلا من أَحْسنَ قريحته وهي أيضا "لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى، وتنقسم الكناية بإعتبار المكنَّى عنه ثلاثة أقسام، فإن المكنَّى عنه قد يكون صفةً، وقد يكون موصوفاً وقد يكون نسبة"[3] وسر بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مقترنة ببرهانها.

[1] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 155.

[2] – عبد العزيز عتيق، علم البيان، دراسة النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1985م، ص 211.

[3] – علي الجازم ومصطفى الأمين، البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، ص 125.

وتتمثل في قول "**ابن الخلوف**"[1]:(**البحر البسيط**)

وللذّبيح به فوز، وتكرمةٌ، كما لإسحاقَ مِنْ جدْاوَلَ تحْصِيلُ

في هذا البيت يتغنى الشّاعر بذبيح الله ابن النبي إبراهيم عليه السلام، وهي كناية عن موصوف وهي التي تكون مختصة بالمكنى عنه (**المعنى المجازي**)، الذي كُرِمَ من خالقه بذبحٍ عظيمٍ يفديه، فكلمة الذبيح هي كناية عن إسماعيل عليه السلام.

وقوله أيضا[2]: (**البحر البسيط**)

وباسمِهِ فاز ذو النونِ التقِي ونَجا، من بطنِ حوتٍ له في البحر توغيلُ

وهي كناية عن موصوف التي قصد بها "**ابن الخلوف**"، الإسم الذي سمى به الله سبحانه وتعالى نبيه يونس عليه السلام، الذي إلتقمه الحوت فبقي سالما وهي معجزة من معجزات الله عز وجل الذي أنقضه من ظلمات ثلاث وهي: ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة بطن الحوت.

كما تتجلى الكناية عن الموصوف في قول "**ابن الخلوف**"[3]:

ونالَ الأسباطُ منه كل منقبةٍ بهَا لموسَى كليمِ الله تكمِيلُ

وهو في هذا البيت من الشطر الأول، إستخدم الشاعر كناية تمثلت في كلمة "**الأسباط**" وهم أولادُ إسرائيل يعقوب عليه السلام، ويقصد به الشّاعر في بيته: أولاده الإثنا عشر، الذي ألقوا بيوسف – عليه السلام – في البئر، من شدة كيدهم وحسدهم.

[1] – المصدر السابق، ص 144.

[2] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 145.

[3] – المصدر نفسه ص144.

د.الإقتباس:

هو أن يضمن الكلام شعراً كان أم نثراً، شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف بأخذ كلمات او عبارات قرآنية مع التغيير فيها دون نسبها إلى قائلها الحقيقي، وهو: "ضربٌ من ضُروب علم البديع الذي يُكمل مع علمي (**المعاني**) و(**البيان**) قواعد البلاغة وعلومها الثلاثة فهو أحدها"[1] والإقتباس في البديع العربي هو: "أن يتضمن الكلام نثراً أو شعراً من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، لا على أن المقتبس جزءٌ منهما، ويجوز أن يغيَّر المقتبس في الآية أو الحديث قليلا"[2] وقد اعتمد "**ابن الخلوف**" على هذه الظاهرة في بديعيته لتوضيح دلالتها، حيث اقتبس من القرآن في شعره، ومن مظاهر الإقتباس في بديعيته نجد:

إقتبس "**ابن الخلوف**" عنوان ديوانه "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" من سورة الرحمان في قوله تعالى[3]: ﴿**متَّكِئِين عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُها مِنْ استَبْرَقٍ وَجَنَا الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ**﴾ الآية 53.

حيث أخذ منها الشّاعر كلمة "**جَنَا الْجَنَّتَيْنِ**" ثم إن مجمل تفسير قوله تعالى: "**وَجَنَا الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ**" بمعنى أن ثمار الجنة تكون ناضجة بغير زيادة ولا نقصان، ويستطيع أن يقطفها أهل الجنة من أي موضعٍ هم فيه.

قوله أيضا[4]: (**البحر البسيط**)

جاءُوا بكيْدٍ لهدم البيتِ، فأنقلَبُوا على الوجوه كعصفٍ، وهو مأكولُ

[1] – عبد الهادي الفكيكي، "الاقتباس من القرآن الكريم" في الشعر العربي، منشورات دار النمير للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 1997م ص 12.

[2] – محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، ص 127.

[3] – سورة الرحمان، الآية 53.

[4] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 147.

يظهر هذا الاقتباس القرآني في عجز البيت، وتمثل ذلك في قوله تعالى في سورة الفيل الآية (5)[1]: ﴿**فجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُوْلٍ**﴾ ويقصد بالعصف في هذه الآية بأنه هو التبن الذي أكلته الدواب فيبس وتفرقت أجزاؤه، بمجرد أن رمتهم به الطير، صاروا كعصفٍ مأكول وهذا الأمر يحدث بقدرة فوق قادرة البشر، وهنا حاكى "**ابن الخلوف**" قصة تهديم الكعبة.

ونجد أيضا قوله[2]: (**البحر البسيط**)

ونالَ سهْمَ علا في المجد قرْطسهُ عن قاب قوسينِ ترحِيبٌ وتأهيلُ

ففي كلمة (**قاب قوسين**) إقتباس قرآني من سورة النجم الآية (9) في قوله تعالى[3]: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدْنَى﴾.

وتحكي هذه الآية معراج محمد –صلى الله عليه وسلم –إلى السماوات العلى، وجاءت خصيصا عندما إقترب جبريل إلى محمد –صلى الله عليه وسلم –لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين سيد الخلق، قاب قوسين، أي (**بقدرهما**).

وقوله أيضا[4]: (**البحر البسيط**)

ونالَ الأسباطُ منه كل منقبةٍ بهَا لموسَى كليمِ الله تكمِيلُ

اقتبس "**ابن الخلوف**" في كلمة (**كليم**) من قوله تعالى[5]: ﴿ **وكلَّمَ الله مُوْسى تَكْلِيْماً**﴾ سورة النساء الآية 163.

[1] – سورة الفيل، الآية 5.

[2] – ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص 147.

[3] – سورة النجم، الآية 9.

[4] – المصدر نفسه، ص 144.

[5] – سورة النساء، الآية 163.

ذلك أن نبي الله موسى – عليه السلام – هو كليم الله حيث أنعم الله عز وجل عليه بأن كّلمهُ بشكلٍ مباشر.

ومن هنا نرى أن بديعية **"ابن الخلوف"** لم يكن الغرض منها مدح الرّسول – صلى الله عليه وسلم –، بل تبيّن لنا أن الشّاعر وظف صوراً فنيّة وبلاغيّة تجمع كل أنواع البديع وفنونه، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على قدرة الشّاعر في تصور صور البديع، فهي قصيدة دينيّة تعليميّة، عملت على تقوية الوازع الديني لمريديها، والتأمل في آيات الله ومعجزاته والإقتداء بسيد خلقه محمد – صلى الله عليه وسلم –، كما تقصد إلى تعليم صور البديع ومحسناته اللفظية والمعنوية، فهي غنية كل الغنى بالدلالات التي كانت بارزة في ألفاظ الشّاعر ومعانيه، إذ جمع فيها بين نصاعة اللّغة والإبداع الشّعري، ووافق الذوق والإحساس والتعبير الجميل.

خاتمة

خاتمة:

وفي الأخير أدت رحلة بحثنا إلى استخلاص النتائج التالية:

1. البديعيات فن جديد يحتوي على كل فنون البديع، ارتبط ظهورها بالعصر المملوكي وهي قصائد طويلة من البحر البسيط في مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم– وبالتالي هي برزخٌ بين المدائح النبوية والمنظومات التعليمية.
2. تولدت البديعيات بشكل بارز في القرن الثامن الهجري، وهي مصطلح لم يحدد له تعريفٌ لغويٌ جامع مانع، ولم تلق حظّها في المعاجم على الرغم من أنها ظهرت ودامت فترة طويلة.
3. مزجت بديعية ابن الخلوف بين حب النبي –صلى الله عليه وسلم– وتعداد خصاله وصفاته الخَلقية والخُلقية، وتوظيف الصور البديعية المختلفة، كما جمعت بين سهولة اللفظ وعمق المعنى، مما أنتج شكلاً أدبياً مختلفا عن الأشكال الأخرى المتعارف عليها.
4. ارتبطت البديعيات ارتباطاً وثيقاً بالتصوف، الذي دعا إليه الحب الشديد لشفيع الأمة عليه الصلاة والسلام، إذ نجد ابن الخلوف يلمس العديد من الدلالات الصوفية التي كانت بارزة في ألفاظه ومعانيه مما أضفت رونقاً بارزا في بديعيته، وهو ما عزّز ارتباط هذا الفن بنظيره الصّوفي.
5. توارد الألفاظ الإسلامية يدل على أن الشاعر متشبع بالثقافة الإسلامية ومتمسك بتعاليم الدين، حيث كان رامزا إلى حقائق دينية وآيات قرآنية استوفى بها غرضه الشعري، وقد أضفى هذا التأثر الديني نقاءاً وتميزاً على مدوّنته الشعرية.
6. جسدت بديعية ابن الخلوف نظاما بلاغياً وجمالاً فنياً، كما اجتمع فيها الجانب الوجداني بالجانب العلمي لتخرج فريدة من نوعها، فجاءت متناسقة ومتناغمة سواء أكان من حيث الشكل أم المضمون.
7. يعد ابن الخلوف شاعرا متميزا ومتفردا في صدق عاطفته وتدفقها ونبضها بالحياة، وتبين ذلك في أصالة ألفاظه ونصاعة لغته، وإبداعه الشعري، ولاسيما في مدحه لخير الأنام عليه الصلاة والسلام.

وتجدر الإشارة إلى أنّ البحث في الموضوع لا يخلو من نقائص وعثرات، نأمل أن تحفّز همّة الباحثين على استدراكها، وتعميق دراسة الموروث الشعري الجزائري، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فحسبنا أنّنا اجتهدنا وكان لنا شرف المحاولة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

المصادر:

ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، تحقيق العربي دحو، دار الألمعية للنشر والتوزيع قسنطينة، الجزائر، ط3، 2014م.

المعاجم:

- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1 1979م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.

المراجع:

1. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، مصر، ط2، 1952م.
2. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتحقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط1، 1999م.
3. الإمام عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، وعلق حواشيه، السيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.
4. أنعام فوّال عكّاوي، المفصل في علوم البلاغية البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2006م.
5. البوصيري، ديوان نظم شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعد البوصيري، تحقيق ودراسة، محمد سيد كيلاني مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1955م.
6. الجاحظ البيان والتبين، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ج4.
7. حسن بن مسعود البغويّ، الأنوار في شمائل النبي المختار، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه، "العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي"، دار المكتبة، دمشق، سوريا، ط1، 1995م، ج1.
8. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1988م، ج1.
9. زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، دار المحجة البيضاء، مكتبة مؤمن قريش، (د.ط)، (د.ت).
10. الزمخشري، أبو قاسم محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1.
11. صفي الدين الحلي، ديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1339م.

12. عبد العزيز عتيق، علم البيان، دراسة النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1985م.
13. عبد الهادي الفكيكي، "الإقتباس من القرآن الكريم" في الشعر العربي، دار النمير، سوريا، دمشق، ط1 1997م.
14. عبد الواحد حسن الشيخ، البديع والتوازي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية كلية التربية، جامعة الإسكندرية ط1، 1999م.
15. علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي (نشأتها، تطورها، أثرها)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1 1983م
16. علي الجازم ومصطفى الأمين البلاغة الواضحة، البيان، المعاني، البديع، دار المعارف، (د.ط)، (د.ت).
17. غازي يموت، بحور الشعر العربي عروض الخليل، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1991م.
18. ابن الفارض، ديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1234م.
19. فاطمة عمراني، المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، المجمع العالمي لأهل البيت السلام عليهم، ط1، (د.ت).
20. محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان، ط1، 2003م.
21. محمد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم، دمشق، ط1، 1991م.
22. محمد متولي الشعراوي، معجزات الرسول، مكتبة الشعراوي الإسلامية، (د.ط)، (د.ت).
23. مصطفى الصاوي الجويني، البديع في علم البديع ليحيى بن معطي، تحقيق ودراسة، محمد مصطفى أبو شوارب، دار الوفاء، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.
24. منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، منشأة الناشر المعارف بالإسكندرية، جلال حزي وشركاه، الإسكندرية (د.ط)، 1986م.
25. ياسين الأيوبي، آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، تحقيق ودراسة، مصطفى قرمد، جروس برس، طرابلس ليبيا، ط1، 1990م.

المجالات:

- جمال رقاب، عناصر تشكيل الإيقاع في ديوان جنى الجنتين لابن الخلوف القسنطيني (التوازي التركيبي وتفاوت الأنوية)، مجلة تنوير، العدد 03، سبتمبر 2017م.
- رشيد شعلال، ظاهرة الترديد في شعر أبي تمام، دراسة إيقاعية جمالية، مجلة التراث العربي، العدد 90، 2003م.
- سعاد الوالي، الرمز الأنثوي في القصيدة المولدية، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين لابن خلوف القسنطيني (نماذج منتقاة)، مجلة المخْبَرْ، العدد التاسع، المركز الجامعي ميلة-الجزائر-، 2013م.
- نورة بن سعد الله، البديعيات النشأة والمضمون، ابن الخلوف أنموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 32، جوان، 2015م.

الرسائل الجامعية:

نورة بن سعد الله، (البديعيات مضمونها ونظامها البلاغي-بديعية ابن الخلوف نموذجا-)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة-الحاج لخضر-باتنة-، 2008/2007م.

الملاحق

ديوان
جنى الجنتين
في مدح
خير الفرقتين
لابن الخلوف القسنطيني
ت899هـ/ 1526م
تحقيق وشرح وتعليق وترجمة وتقديم
د. العربي دحو

أن ما عندي من المعلومات عن دراستنا الديوان و صاحبه والديوان أساسا لا تخلو منهما جامعة من الجامعات الوطنية .بل وقد وجدت تسجيل أكثر من دراسة عنه في أكثر من جامعة ومنها المكتملة، أو التي في طريقها إلى ذلك. إضافة • إلى ما ذكرناه في مقدمة الطبعة الثانية.

ولأجل ذلك، وكوني لا يمكنني العودة إلى إنجاز دراسة أخرى في الموضوع اعتمادا على ما سجلته من تحميل للشاعر و ديوانه ما لا يعنيهما أبدا: إما بسبب عدم الفهم، أو بسبب التسرع و السطحية في التناول، أو تكييف المضمون و فق المزاج الشخصي، و الأدلجة الفكرية، التي يفرضها الدارس عنه إلى غير ذلك مما قد يسجل عن الدراسات التي لم نطلع عليها كذلك.

فإني لذلك أهيب بمن يقبل مستقبلا أو من هو مشتغل بدراسة الشاعر و ديوانه أن يلتفت إلى تلك الدراسات، فيصحح ما يستدعي التصحيح من الشطط الذي نال عمل الشاعر، ويوصل بمستوى علمي إبداع الشاعر و نظمه، ويؤول بآليات جمالية ما يوصل المكونات الفنية في نص الشاعر حتى ينصف من جهة، و نخلق ذائقة أدبية فنية جمالية عند طلابنا، ونمكنهم من الآليات التي تسعفهم من تقديم عملية جادة، متماسكة، و مقبولة، وجديرة بالاستفادة منها اطلاعا، و توظيفا في الآتي من الأعمال.

فضلا عن موقعة أي مبدع جزائري في مختلف العصور في المنظومة العلمية، والإبداعية، و الثقافية بعامة، لأننا و مهما ادعينا من بذل جهد في هذ المعنى فإننا و صدقا و بكل موضوعية مازلنا بعيدين عن الموقع الذي يجب أن نتموقع فيه لأسباب كثيرة، كما هو معروف عند الجميع، و في مقدمها عمرنا القصير بين أعمار الأمم الحرة، التي لم تصب باحتلال كالذي نالنا طوال قرن و ثلاثين سنة.

من مقدمة الطبعة الثالثة للدراسة

بمثابة تقديم
الشاعر ابن خلوف
ذاكرة الإبداع القسنطيني

بقلم جمال فوغالي

هذه مديرية الثقافة مثلما دأبت على ذلك تعمل على تكريم مبدعي قسنطينة في جميع فنون الإبداع، ومن مختلف الأجيال وهي فلسفة وزارة الثقافة والتي دعت إليها معالي وزيرة الثقافة السيدة خليدة تومي.

ونحن إذ ننشر هذه الأعمال الإبداعية إنما لنؤكد من خلالها على الإهتمام الكبير بالكتاب الذي تولي وزارة الثقافة العناية الكبرى، لأنه الحافظ للذاكرة الإبداعية الجزائرية من الإندثار والزوال.

مديرية الثقافة إذ تنشر هذا السّفر للشاعر ابن خلوف إنما لتؤكد على تكريم هذا الشاعر القسنطيني المولد المغاربي النشأة، والذي شرفنا الدكتور العربي دحو بتحقيق ديوانه "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين" المعروف

ص ب 62 عين الباي قسنطينة 25043 الجزائر
الهاتف الفاكس 213.31.67.52.89+
الفاكس 213.31.67.69.23+
Elalmaia15@gmail.com

الكتاب: ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين لابن الخلوف القسنطيني
المؤلف: د. العربي دحو

الناشر: دار الألمعية للنشر والتوزيع
التصفيف: قسم التصفيف
الغلاف: دار الألمعية
التوزيع: دار الألمعية
ردمك: 978-9947-50-009-5
الإيداع القانوني: 2013-6303
الطبعة: الثالثة **2014**

حقوق النشر محفوظة لدار الألمعية:
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

الإهداء

إلى روح فلذة كبدي كمال الدين الذي كان أمل دنياي، وملاك أخراي، إليه وقد وضع الخطوة الأولى في مشروع حلمنا لخدمة الثقافة العربية الإسلامية الشريفة المجيدة، ولكن يد المنون تختطفه كما قضى الله وهو في لحظات التأسيس.

إلى روحه في الملكوت الأعلى مع أخويه سامي، وجميل في جنة الخلد مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين حتى تسلم روحي لبارئها العزيز مع والدتهم التي لم تعش لحظة واحدة بعدهم بزينة النساء ومتع الحياة لدرجة ظنها أن لا معنى لوجودها على الرغم من إيمانها العميق وصبرها الجميل.

فاللهم اجعلها ذخرا في الدار الباقية وجملنا بالصبر الجميل.

ووفق من ذريتنا من يستأنف المشروع العلم

إنك سميع مجيب

****

(4- ل) استرواح القبول بمدح طه الرسول

﴿من البسيط﴾

لشاهدِ الدمع بالتجريح تعديلُ ... وما لجفنٍ يخُلو النوم تعسيلُ

وللهوَى حَاكِمُ قَاضٍ عليَّ قضَى ... ومَا بهِ قد قضَى، والله مقبولُ[1]

قضَى بسفكِ دمِي في الحب محتكِما ... أمَا درَى أنه عنْ ذاك مسؤُولُ؟![2]

باليْتَ لو صانهُ كيْمَا أشاهدُهُ، ... وهل يصان دمٌ في الحبِّ مطلولُ؟![3]

يا نفسُ ديني بدين الحب واجتَنبِي ... ما زخرفتْهُ على السمْعِ الأقاوِيلُ

ولازمِي الصدْقَ والإخلاصَ فيه تَرِيْ ... هدًى بهِ سَفُهَتْ تلك الأباطِيلُ

فالحب بالصبِّ أولى، والغرامُ لهُ ... أهلٌ تحاشيهمُ فيه التَّضَاليلُ[4]

رضُوا، ورَاضوا نفوسا لم تمِلْ لسوَى ... معنًى لإجْمَاله في الحسْنِ تفصيلُ

هيَ النفوسُ النفيسَاتُ التي شرُفَتْ ... أن تستَنِيبَ لما تدعو التخابِيلُ[5]

وارحْمتاهُ لصبٍّ جسْمُهُ دنِفٌ، ... ودمعه مطلقٌ، والقلب مكْبُولُ[6]

لا يستطيع اضْطبارًا، وهو في قَلقٍ، ... ولا يطِيق سلوًا، وهو متبُولُ[7]

---

[1] في (ط) والهوى، وفي (ج) على قصما.

[2] في (ط) عن ذلك.

[3] في (ط) دما المطول، ومطول: مهدور.

[4] في (ج) تحاسيهم، في (ط) التظاليل.

[5] في (ط) التحاييل.

مشَتْ تُ البالِ بأوي لـدِي سـكنٍ ... ولاَ يميـلُ لِرَسْـمٍ فيـه تعْطِيـلُ[1]

كـأنمَـا قـلْبُـهُ بالنَّـارِ منبعِـثٌ، ... ودمعَهُ الصلبُ بالطوفانِ موْصُـولُ[2]

ما تمسـكُ الدمعَ حفنَاهُ التي انْبجَسَتْ ... إلاَّ كما يمسِـكُ المـاءَ الغرابيـلُ[3]

دمـعٌ شكوتُ له نارِي، فقـالَ: ومَـا ... أغْنِي، وأمْرِي كمَا عاينتَ مَهْمُولُ؟

يا أهْـلَ ودِّي، وأحبـابِي، ومـنْ هَمُ ... طَاب السَّماعُ، ولذَّ القـالُ والقيلُ

أنتـم حيَاتِي، وإينـاسِي، ومَطْلـبِي، ... وأنتم القصْدُ، والمأمُولُ والمسُّـولُ[4]

غِبتـمْ فغابـتْ تماثيلُ الجَمال، ولـوْ ... لُحتمْ لقامتْ بكـم تلك التَمَاثِيـلُ

وكيْـفَ أكْحِل حفْنـي بالمنـامِ، وما ... مسافةُ البعْـدِ فيمَـا بيْنَنَـا ميـلُ[5]

ميلـوا بعَطْفٍ على مضناكم، وصِلُـوا ... حبْلَ آتصالِي، فأنتم أغصُـنٌ ميلُـوا

يا بَارقـا مـنْ ثنيَّـا العـقيـقِ أضَـا ... كيمَا يحَاكِي ثغورًا حشْوُها كُـولُ[6]

لا تطمعـنَّ بأمَـرٍ ليـس تـدركـهُ ... إن الثغورَ إليهـا يَنْتَهِـي القيـلُ[7]

حتَّـامَ أكْتُـم والأشـواق تحبرُ عـنْ ... مطوِي سرٍّ لَـه بالعقـلِ تعْقِيـلُ[8]

شربت كأس الهَوى صـرفًا، فأسْكـرني ... وكيف يصحُو مَع الإسْكارِ مَشْمُولُ؟!

وعـاذل جَـاءَ يلْحانِي فقـلتُ لـهُ: ... دعنِي وشأنِي، فإنِّي عنكَ مشْغـولُ

---

[1]- في (ط) إلى.

[2]- في (ط) بالصب.

[3]- في (ط) الماء.

[4]- في (ج) وابالي، وفي (ط) والسول المأمول.

[5]- في (ج) وقد، وبالسهر، وفي (ع) أيضا.

[6]- في (ج) من كبات، ولول الشدة والضر.

[7]- في (ج) ليست ـــ و: ن النعور. و: تنتهي.

[8]- في (ج) و(ط) و(ع) حق مق.

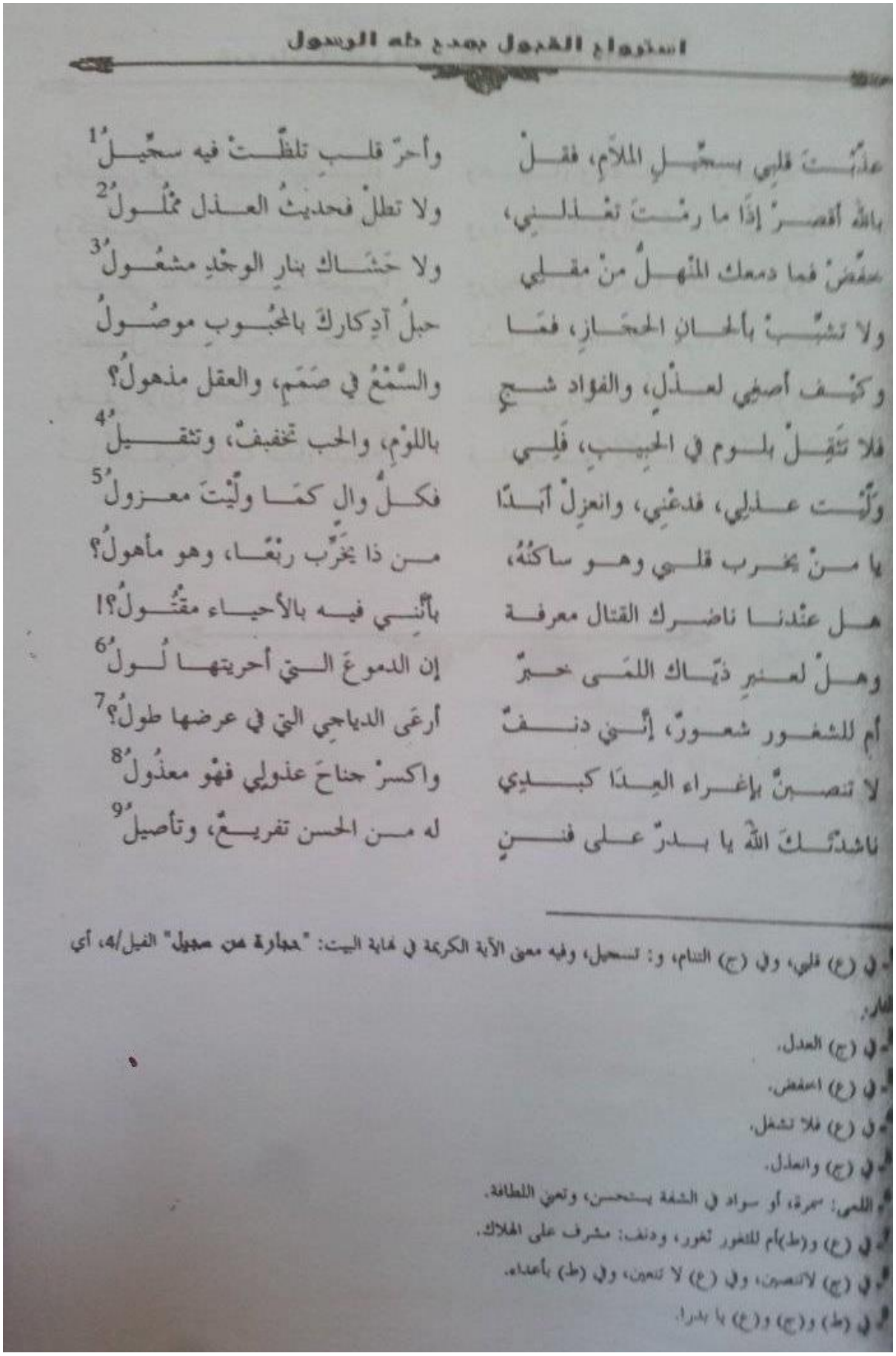

استوداع الرسول بمدح طه الرسول

عذّبتَ قلبي بسجّيلِ الملامِ، فقلْ ... وأحرّ قلبٍ تلظّتْ فيه سجّيلُ[1]

باللهِ أقصرْ إذا ما رمتَ تعذلني، ... ولا تطلْ فحديثُ العذلِ ممْلولُ[2]

اسفضْ فما دمعك المنهلُّ منْ مقلي ... ولا حَشَاك بنارِ الوجْدِ مشعُولُ[3]

ولا تشبّبْ بألحانِ الحجَازِ، فمَا ... حبلُ آدِكاركَ بالمحْبُوبِ موصُولُ

وكيْفَ أصغي لعذْلٍ، والفؤاد شجٍ ... والسّمْعُ في صَمَمٍ، والعقل مذهولُ؟

فلا تثقِلْ بلومٍ في الحبيبِ، فَلِي ... باللوْمِ، والحب تخفيفٌ، وتثقيلُ[4]

ولّيْتَ عذلي، فدعْني، وانعزلْ أبدًا ... فكلُّ والٍ كمَا ولّيْتَ معزولُ[5]

يا منْ يخرب قلبي وهو ساكنُهُ، ... من ذا يخرّب ربْعًا، وهو مأهولُ؟

هل عنْدنا ناضرك القتال معرفة ... بأنّني فيه بالأحياء مقتُولُ؟!

وهلْ لعينٍ ذيّاك اللمَى خبرٌ ... إن الدموعَ التي أجريتها لُولُ[6]

أم للشعور شعورٌ، إنّني دنفٌ ... أرعَى الدياجي التي في عرضها طولُ؟[7]

لا تنصبنّ بإغراء العِدَا كبدي ... واكسرْ جناحَ عذولي فهْو معذُولُ[8]

ناشدتُكَ اللهَ يا بدرٌ على فننٍ ... له من الحسن تفريعٌ، وتأصيلُ[9]

---

[1] في (ع) قلبي، وفي (ج) التنام، و: تسجيل، وفيه معنى الآية الكريمة في نهاية البيت: "حجارة من سجيل" الفيل/4، أي نار.

[2] في (ج) العدل.

[3] في (ع) اسفض.

[4] في (ع) فلا تشغل.

[5] في (ج) والعذل.

[6] اللمى: سمرة، أو سواد في الشفة يستحسن، وتعني اللطافة.

[7] في (ع) و(ط)أم للثغور ثغور، ودنف: مشرف على الهلاك.

[8] في (ج) لاتنصبن، وفي (ع) لا تنعين، وفي (ط) بأعداء.

[9] في (ط) و(ج) و(ع) يا بدرا.

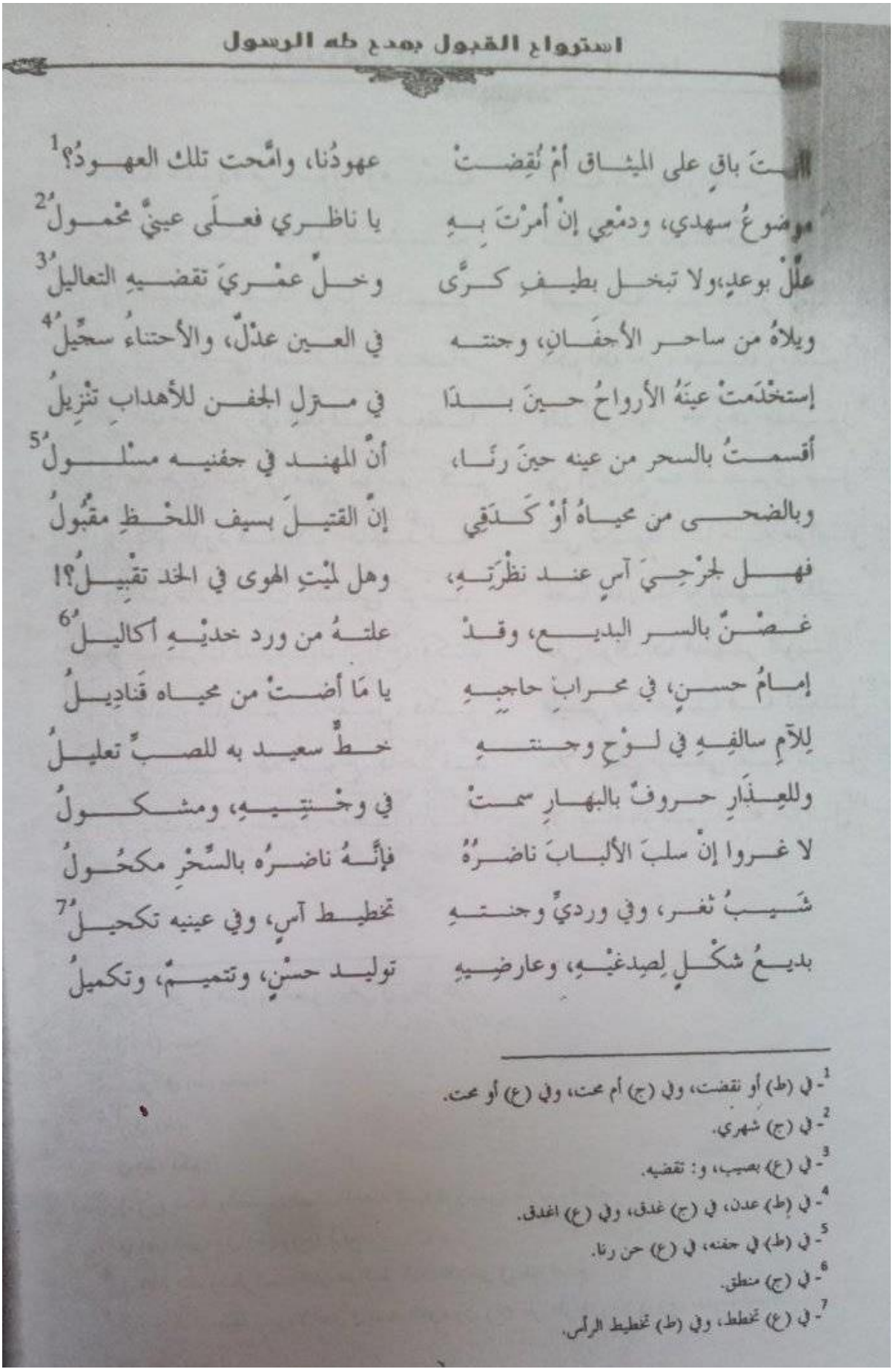

استرواح القبول بمدح طه الرسول

أأنتَ باقٍ على الميثاق أمْ نُقِضتْ ... عهودُنا، وامَّحت تلك العهودُ؟[1]

موضوعُ سهدي، ودمْعي إنْ أمرْتَ بهِ ... يا ناظري فعلَى عينيَّ مَحْمولُ[2]

علَّلْ بوعدٍ،ولا تبخل بطيفٍ كرًى ... وخلِّ عمْريَ تقضيهِ التعاليلُ[3]

ويلاهُ من ساحر الأجفَانِ، وجنته ... في العين عدْلٌ، والأحتناءُ سجِّيلُ[4]

إستخْدَمتْ عينَهُ الأرواحُ حينَ بدَا ... في مترلِ الجفن للأهدابِ تنْزِيلُ

أقسمتُ بالسحر من عينه حينَ رنَا، ... أنَّ المهند في جفنيه مسْلولُ[5]

وبالضحى من محياهُ أوْ كَدَقِي ... إنَّ القتيلَ بسيف اللحْظِ مقْبُولُ

فهل لجرْحِيَ آسٍ عند نظْرَتِهِ، ... وهل لميْتِ الهوى في الخد تقْبِيلُ؟!

غضَّنَّ بالسر البديع، وقدْ ... علتهُ من ورد خديْهِ أكاليلُ[6]

إمامُ حسنٍ، في محرابِ حاجِبِهِ ... يا مَا أضتْ من محياه قَنادِيلُ

لِلآمِ سالفِهِ في لوْحِ وجنتهِ ... خطٌّ سعيد به للصبِّ تعليلُ

وللعِذَارِ حروفٌ بالبهارِ سمتْ ... في وجْنتِيهِ، ومشكولُ

لا غروا إنْ سلبَ الألبابَ ناضرُهُ ... فإنَّهُ ناضرُه بالسِّحْرِ مكحُولُ

شَيبُ ثغر، وفي ورديِّ وجنتهِ ... تخطيط آسٍ، وفي عينيه تكحيلُ[7]

بديعُ شكْلٍ لِصدغيْهِ، وعارضِيهِ ... توليد حسْنٍ، وتتميمٌ، وتكميلُ

---

[1]- في (ط) أو نقضت، وفي (ج) أم محت، وفي (ع) أو محت.

[2]- في (ج) شهري.

[3]- في (ع) بعيب، و: تقضيه.

[4]- في (ط) عدن، في (ج) غدق، وفي (ع) اغدق.

[5]- في (ط) في حفنه، في (ع) حن رنا.

[6]- في (ج) منطق.

[7]- في (ع) تخطط، وفي (ط) تخطيط الرأس.

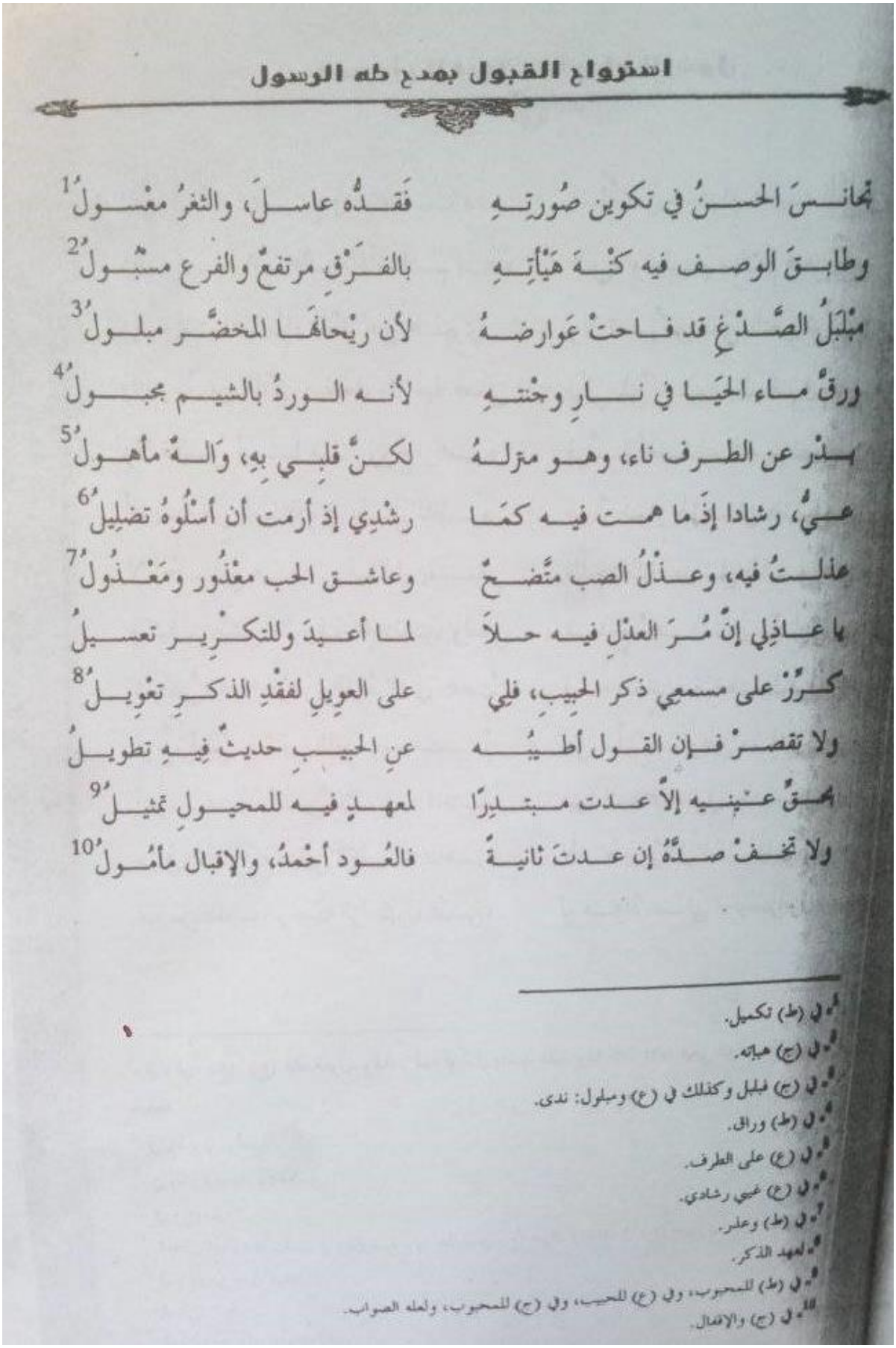

استرواح القبول بمدح طه الرسول

تحانسَ الحسنُ في تكوين صُورتِهِ ... فَقدُّه عاسلَ، والثغرُ مغسولُ[1]

وطابقَ الوصف فيه كنْهَ هَيْأتِهِ ... بالفرْقِ مرتفعٌ والفرع مسْبولُ[2]

مُبْلبَلُ الصُّدْغِ قد فاحتْ عَوارضُهُ ... لأن ريْحانَهَا المخضَّر مبلولُ[3]

ورقَّ ماءُ الحيَا في نارِ وجْنتِهِ ... لأنه الوردُ بالشيم مجبولُ[4]

بذر عن الطرف ناء، وهو منزلُهُ ... لكنَّ قلبي بِهِ، وَالهٌ مأهولُ[5]

عيٌّ، رشادا إذَ ما همت فيه كمَا ... رشْدِي إذ أرمت أن أسْلُوهُ تضليلُ[6]

عذلتُ فيه، وعذْلُ الصب متَّضحٌ ... وعاشق الحب معْذُور ومَعْذُولُ[7]

يا عاذِلي إنَّ مُرَّ العذْلِ فيه حلاَ ... لما أعيدَ وللتكْرِير تعسيلُ

كرِّرْ على مسمعي ذكر الحبيبِ، فلي ... على العويلِ لفقْدِ الذكرِ تعْويلُ[8]

ولا تقصرْ فإن القول أطيبُه ... عنِ الحبيبِ حديثٌ فِيهِ تطويلُ

يحقُّ عينيه إلاَّ عدت مبتدِرًا ... لمعهدٍ فيه للمحيولِ تمثيلُ[9]

ولا تخفْ صدَّهُ إن عدتَ ثانيةً ... فالعُود أحْمدُ، والإقبال مأمُولُ[10]

---

1. في (ط) تكميل.
2. في (ج) هيأته.
3. في (ب) فليل وكذلك في (ع) ومبلول: ندى.
4. في (ط) وراق.
5. في (ع) على الطرف.
6. في (ع) غي رشادي.
7. في (ط) وعذر.
8. لعهد الذكر.
9. في (ط) للمحبوب، وفي (ع) للحب، وفي (ج) للمحبوب، ولعله الصواب.
10. في (ج) والاقبال.

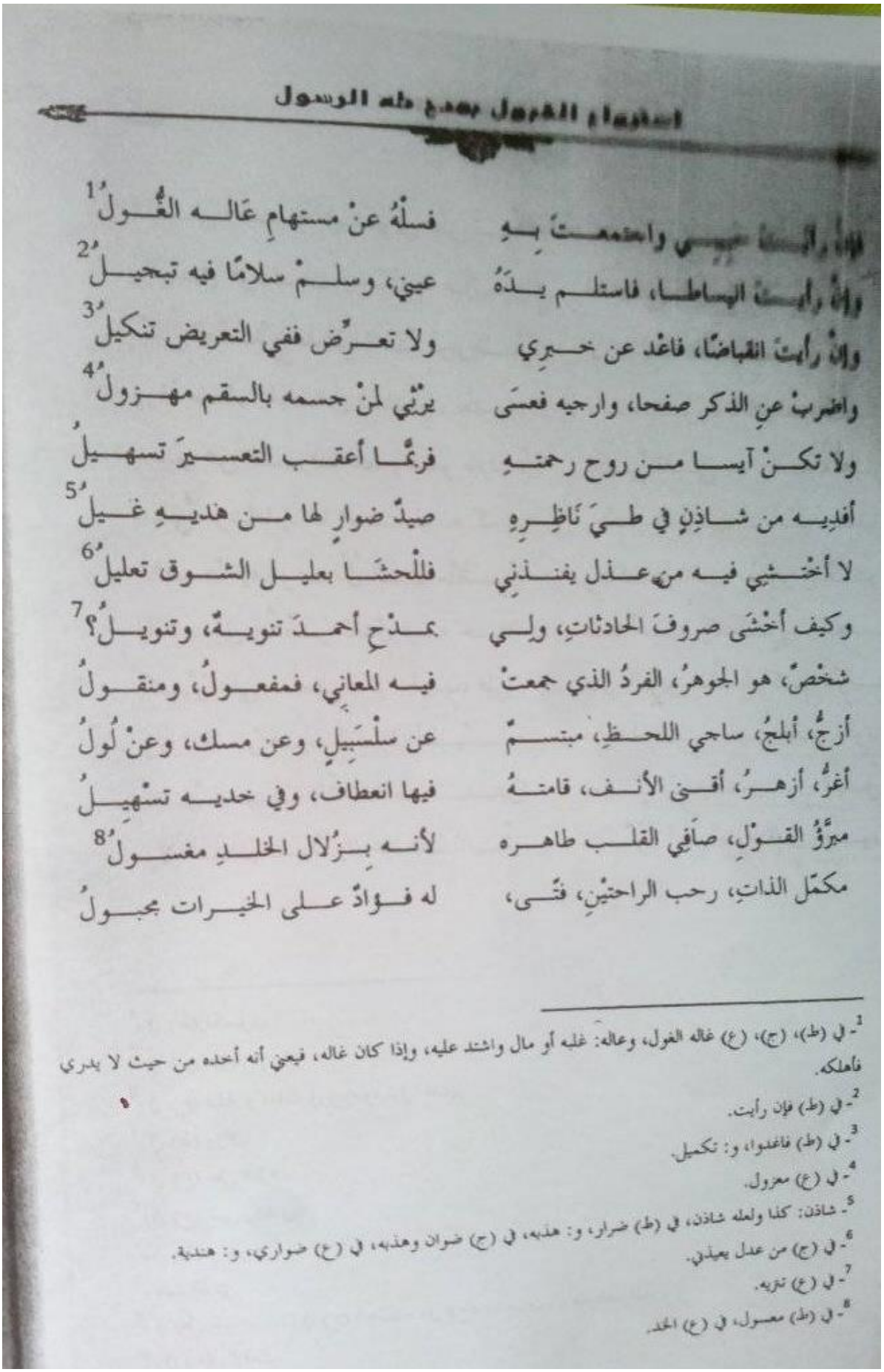

استوهاء الغزول بمدح مله الرسول

فإنْ رابتْ عيني واطمعتَ بهِ ... فسلْهُ عنْ مستهامٍ عَالَه الغُولُ[1]

وإنْ رابتْ السماطا، فاستلم يدَهُ ... عيني، وسلمْ سلامًا فيه تبجيلُ[2]

وإنْ رأيتَ انقباضًا، فاعْد عن خبري ... ولا تعرِّض ففي التعريض تنكيلُ[3]

واضربْ عنِ الذكر صفحا، وارجه فعسَى ... يرثي لمنْ جسمه بالسقم مهزولُ[4]

ولا تكنْ آيسا من روح رحمتهِ ... فربَّما أعقب التعسيرَ تسهيلُ

أفدِيه من شاذِنٍ في طيِّ نَاظِرِهِ ... صيدٌ ضوارٍ لها من هديهِ غيلُ[5]

لا أختشِي فيه من عذل يفندني ... فللْحشَا بعليل الشوق تعليلُ[6]

وكيف أخْشَى صروفَ الحادثاتِ، ولي ... بمدْحِ أحمدَ تنويهٌ، وتنويلُ؟[7]

شخْصٌ، هو الجوهرُ، الفردُ الذي جمعتْ ... فيه المعاني، فمفعولٌ، ومنقولُ

أزجُّ، أبلجُ، ساجي اللحظِ، مبتسمٌ ... عن سلْسَبِيلٍ، وعن مسك، وعنْ لُولُ

أغرُّ، أزهرُ، أقنى الأنف، قامتهُ ... فيها انعطاف، وفي خديه تسْهِيلُ

مبرَّؤُ القولِ، صافِي القلب طاهره ... لأنه بزُلال الخلدِ مغسولُ[8]

مكمّل الذاتِ، رحب الراحتيْنِ، فتًى، ... له فؤادٌ على الخيرات مجبولُ

---

[1]- في (ط)، (ج)، (ع) غاله الغول، وعاله: غلبه أو مال واشتد عليه، وإذا كان غاله، فيعني أنه أخذه من حيث لا يدري فأهلكه.

[2]- في (ط) فإن رأيت.

[3]- في (ط) فاغدوا، و: تكميل.

[4]- في (ع) معزول.

[5]- شاذن: كذا ولعله شاذن، في (ط) ضرار، و: هديه، في (ج) ضوان وهديه، في (ع) ضواري، و: هندية.

[6]- في (ج) من عدل يعيدني.

[7]- في (ع) تنزيه.

[8]- في (ط) معسول، في (ع) الخد.

استرواح القبول بمدح طه الرسول

أنشأهُ مولاه منْ نورٍ، وقدَّمه ... كأنه غُرة، والخلق تحجيلُ[1]

متوَّج ببلال المجد متشحٌ، ... موزَّرٌ برداءِ الفخر مشمولُ[2]

أوفى النبيين، مبدَا الرسل خاتمهمْ ... أليس منه لهم بدءٌ، وتكميلُ؟[3]

إن كان عيسى أعادَ الميت منتعشا، ... فكم لطهَ حيٌّ، ميتٌ، ومقتولُ؟!

أو كان موسى أرِي الطُّوفان منغلقا ... فقد أرِي البدر طه وهو مفصولُ[4]

أو قدْ جرى النيل في مصْرٍ ليوسفَ كم ... بين الأصابع منه قد جرى نيلُ؟[5]

أو كان دَاوود قد لان الحديدُ لهُ ... لكي تكون لنا منه سَرَابيلُ

فالجدْلُ عاد بكف المصطفى كرمًا، ... غضبًا حديدًا بهِ للْمهَامِ تقْليلُ[6]

أو سخِّرتْ لسليمانَ الرياحُ، فكمْ ... على البراق لطهَ الطهر تجويلُ؟[7]

أو عادَتِ النار برد للخَليلِ، فكم ... طُفِي بطه لهيبٌ فيه تشعيلُ[8]

أو في السفِينِ علاَ نوح، فأحمدُ قد ... علاَ على مرتقى عنهُ تنْزِيلُ[9]

لم يُوت منهم رسول معجز، أبدًا ... إلا أتاه بأزكى منه جبريلُ[10]

---

[1] الغرة: بياض في الجبهة، وتحجيل: بياض في رجل الفرس.

[2] في (ط) متسع.

[3] النص: في (ط) مفقودة.

[4] أرِ في (ط).

[5] في (ط) فكم.

[6] في (ج) غضبا، والغضب: الصلب الحديد السيف، وتقليل: ضرب وتقطيع.

[7] في (ط) الطو، وفي (ط) و(ج) الريح.

[8] في (ط) عاد، وشطر البيت الثاني هو شطر البيت اللاحق في بقية النسخ.

[9] في (ج) البت مضطرب وبالأخص في البت الثاني، وفي (ع) على فقودة، وعلا في (ج) مفقودة أيضا.

[10] في (ط) معجزا.

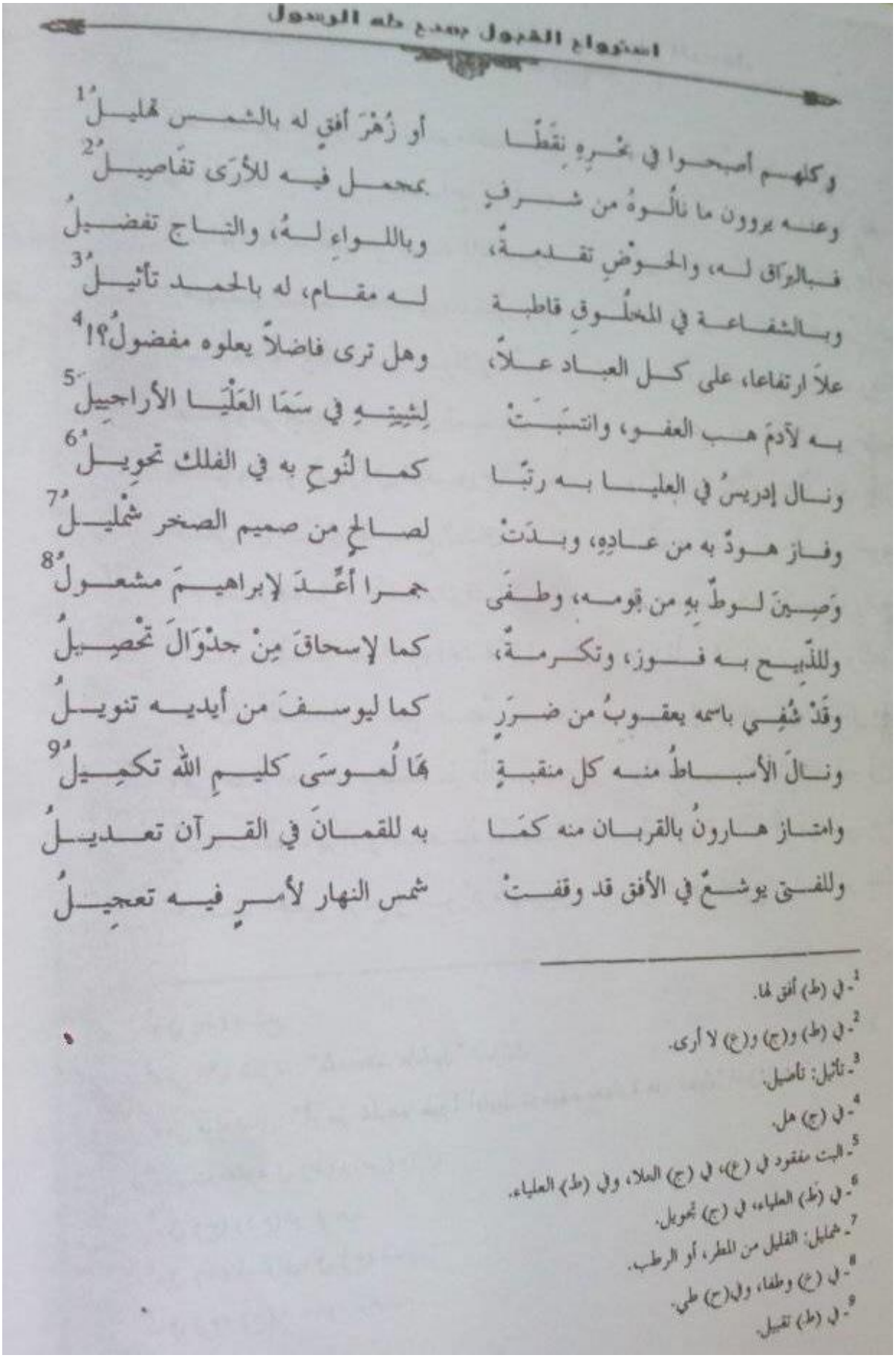

استنواء الشمول بمدح طه الرسول

وكلهم أصبحوا في بحره نقطا ... أو زهرة أفق له بالشمس تمثيل[1]

وعنه يروون ما نالوه من شرف ... بمحمل فيه للأرى تفاصيل[2]

فبالرواق له، والحوض تقدمة، ... وباللواء له، والتاج تفضيل

وبالشفاعة في المخلوق قاطبة ... له مقام، له بالحمد تأثيل[3]

علاً ارتفاعا، على كل العباد علاً، ... وهل ترى فاضلاً يعلوه مفضول؟![4]

به لآدمَ هب العفو، وانتسبتْ ... لشيبته في سَمَا العلْيا الأراجيل[5]

ونال إدريسُ في العليا به رتبًا ... كما لنوحٍ به في الفلك تحويل[6]

وفاز هودٌ به من عادِهِ، وبدتْ ... لصالحٍ من صميم الصخر شمليل[7]

وَصِينَ لوطٌ بهِ من قومه، وطفى ... جمرا أعدَّ لإبراهيمَ مشعول[8]

وللذبيح به فوز، وتكرمةٌ، ... كما لإسحاقَ مِنْ جدْوَالَ تحصيلُ

وقدْ شُفِي باسمه يعقوبُ من ضررٍ ... كما ليوسفَ من أيديه تنويلُ

ونالَ الأسباطُ منه كل منقبةٍ ... بها لموسَى كليمِ الله تكميلُ[9]

وامتاز هارونُ بالقربان منه كمَا ... به للقمانَ في القرآن تعديلُ

وللفتى يوشعٌ في الأفق قد وقفتْ ... شمس النهار لأمرٍ فيه تعجيلُ

---

[1]- في (ط) أفق لها.

[2]- في (ط) و(ج) و(ح) لا أرى.

[3]- تأثيل: تأصيل.

[4]- في (ج) هل.

[5]- البيت مفقود في (ح)، في (ج) العلا، وفي (ط) العلياء.

[6]- في (ط) العلياء، في (ج) تحويل.

[7]- شمليل: القليل من المطر، أو الرطب.

[8]- في (ج) وطفا، وفي(ح) طي.

[9]- في (ط) تفصيل.

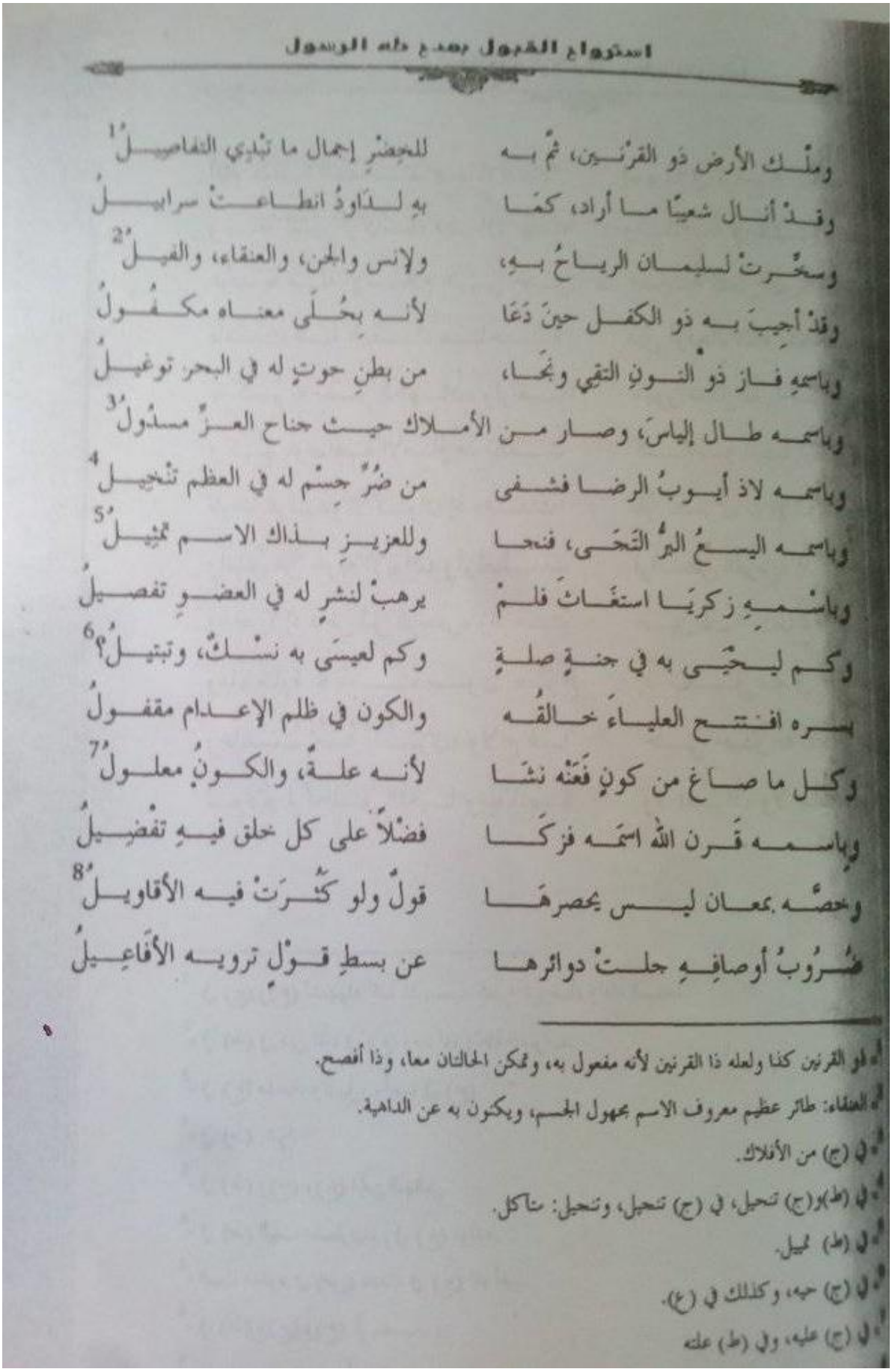

استنواع الشمول بصدع ذاته الوصول

وملْـكُ الأرض ذو القرْنَـين، ثمَّ بـه ... للخضْرِ إجمال ما تبْدي التفاصيـلُ[1]

وقـدْ أنـال شعيبًا مـا أراد، كمَـا ... بهِ لـدَاودُ انطـاعـتْ سرابيـلُ

وسخَّـرتْ لسليمـان الريـاحُ بـهِ، ... ولإنس والجن، والعنقاء، والفيـلُ[2]

وقدْ أجيبَ بـه ذو الكفـل حينَ دَعَا ... لأنـه بحُـلَى معنـاه مكـفُـولُ

وباسمِهِ فـاز ذو النـونِ التقي ونجَـا، ... من بطنِ حوتٍ له في البحر توغيـلُ

وباسمـه طـال إلياسَ، وصـار مـن ... الأمـلاك حيـث جناح العـزِّ مسْدُولُ[3]

وباسمـه لاذ أيـوبُ الرضـا فشـفى ... من ضُرِّ جسْم له في العظم تنْحيـلُ[4]

وباسمـه اليسـعُ البرُّ التحَـى، فنحـا ... وللعزيـزِ بـذاك الاسـم تمْثيـلُ[5]

وباسْـمـهِ زكريَـا استغَـاثَ فلـمْ ... يرهبْ لنشرٍ له في العضـوِ تفصـيلُ

وكـم ليحْيَـى به في جنـةٍ صلـةٍ ... وكم لعيسَى به نسْـكٌ، وتبتيـلُ؟[6]

بسـره افـتتـح العليـاءَ خـالقُـه ... والكون في ظلم الإعـدام مقفـولُ

وكـل ما صـاغ من كونٍ فعَنْه نشَـا ... لأنـه علـةٌ، والكـونُ معلـولُ[7]

وباسـمـه قَـرن الله اسمَـه فزكَـا ... فضْلاً على كل خلق فيـهِ تفْضيـلُ

وخصَّـه بمعـان ليـس يحصرهَـا ... قولٌ ولو كثُـرَتْ فيـه الأقاويـلُ[8]

ضُـرُوبُ أوصافِـهِ جلـتْ دوائرهـا ... عن بسطِ قـوْلٍ ترويـه الأفَاعِـيلُ

---

[1] لو القرنين كذا ولعله ذا القرنين لأنه مفعول به، وتمكن الحالتان معا، وذا أفصح.

[2] العنقاء: طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم، ويكنون به عن الداهية.

[3] في (ج) من الأفلاك.

[4] في (ط)و(ج) تنحيل، في (ج) تنجيل، وتنحيل: تناكل.

[5] في (ط) تحيل.

[6] في (ج) حبه، وكذلك في (ع).

[7] في (ج) عليه، وفي (ط) عله

استرواح القبول بمدح طه الرسول

أقام للملـةِ السَّمْحَـاء سمـاءَ، عـلاً ... لِشُهْبِهَا في بروج السَّعْـدِ تنقـيلُ[1]

وشـادَ للدينِ أركانًـا، فطـاقَ بِهَـا، ... وفـد لـهُ في يمـين الله تقبِـيلُ[2]

عزَّتْ به مـلةُ الإسـلاَمِ حيـن حمـى ... عصابـةُ الدين أن يغشَـا لَهَا غـولُ

فأضْحَت السُّنة البيضـاء سـاحبـةً ... ذيلَ آزدهاءٍ لـه بالفخـر تذبـيلُ[3]

يَا كَـمْ به بشَّـر الكهـانُ، وارتقبـوا ... ظهورَ شكلٍ له بالحسـن تشكـيلُ[4]

وكـم بأوصافِـه الأصنامُ قد نطقـتْ ... كمـا بـهِ أنبـأ الحُـرُّ البهَاليـلُ[5]

نارتْ بمولـدهِ الأكـوان إذْ حمـدتْ ... نارٌ لكسرَى به الإشراك مشعـولُ[6]

وانشقَّ من خوفه الإيوانُ، وآرتعظـدتْ ... فرائـصُ الفرسِ، إذْ ناداهمُ زولُـوا[7]

وغاصَ؟ إذ فاضَ ليل الرجس، وانبجَستْ ... عـينٌ لهـا بِشعاعِ النـور تكحيلُ

وماءُ ساوةَ لَمْ ينْضَـبْ سـوى جـزع ... إذْ لم يسـل منهُ في بطائحِهِ نيـلُ[8]

وعاينـتْ أمُّـهُ بُصْـرى، ولاح لَهَـا ... حلـيٌّ حـقٌّ به للـزور تعطِيـلُ[9]

لـولاهُ لم تُخلـقِ الدنيـا وسَاكِنُهـا ... ولا المعـادُ، ولا عـدنٌ وسجِّـلُ[10]

---

[1]- في (ج) و(ع) لشبهها، كذا مما يسبب كسرا عروضيا، ولعله السمحا.

[2]- في (ط) في دين الله، في (ع) ومد له، ولعله الصواب.

[3]- في (ع) ماحية، وتذيل، وأيضا في (ج).

[4]- في (ط) بشوا.

[5]- في (ط) و(ج) و(ع) الجن البهاليل.

[6]- في (ط) البيت مضطرب، وفي (ج) لمولده.

[7]- البيت مفقود في (ص) نادما، في (ج) ناه أهم.

[8]- في (ط) و(ج) و(ع) لم ينضب.

[9]- في (ع) حلي حق، وأراه الصواب.

[10]- في(ط) لساكنها.

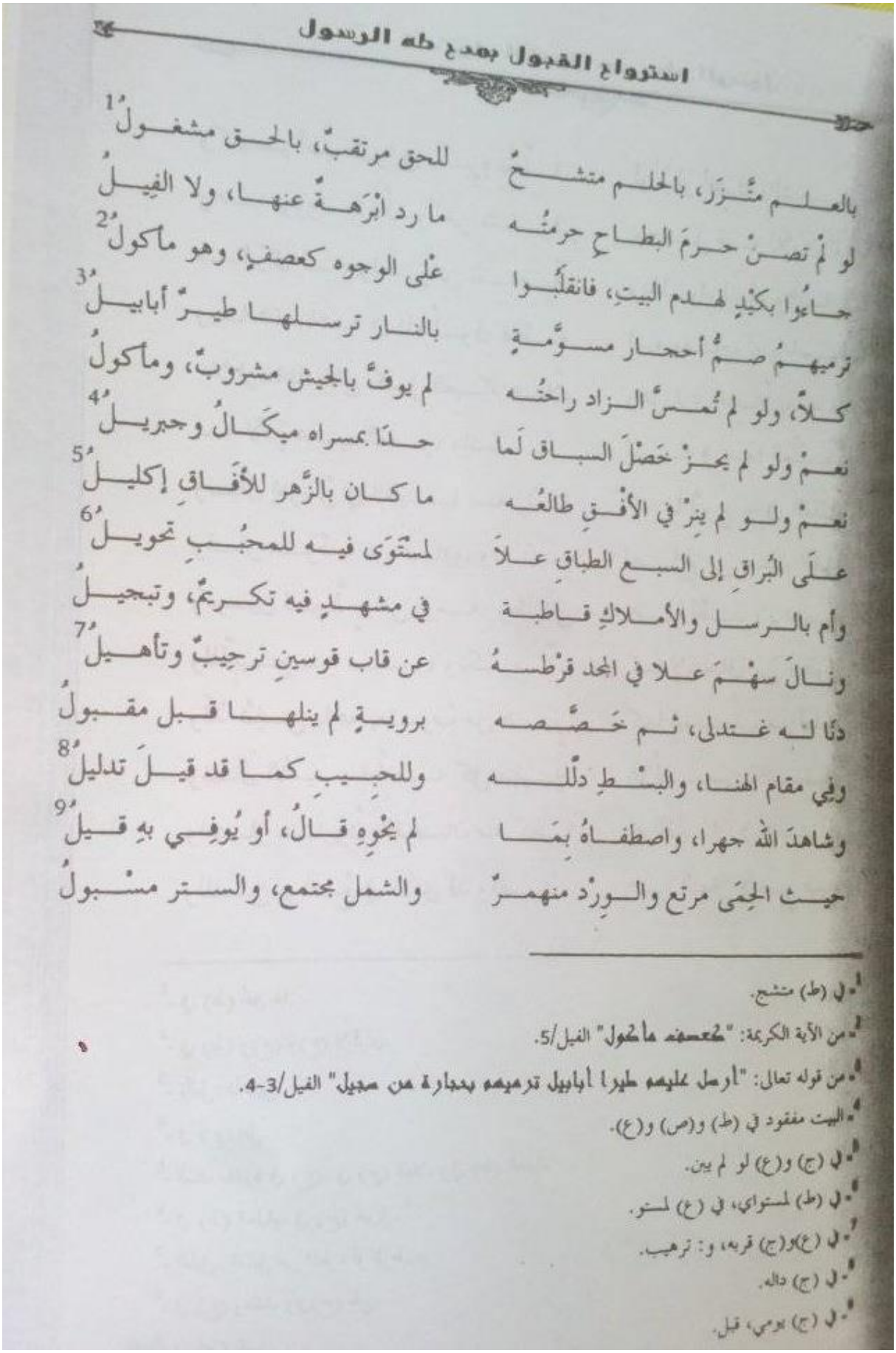

استرواح القبول بمدح طه الرسول

بالعلم متَّزر، بالحلم متشحُ ... للحق مرتقبٌ، بالحق مشغولُ[1]

لو لم تصنْ حرمَ البطاحِ حرمتُه ... ما رد ابرَهةً عنها، ولا الفيلُ

جاءُوا بكيدٍ لهدم البيتِ، فانقلبُوا ... على الوجوه كعصفٍ، وهو ماكولُ[2]

ترميهمُ صمُّ أحجار مسوَّمةٍ ... بالنار ترسلها طيرٌ أبابيلُ[3]

كلاَّ، ولو لم تُمسَّ الزاد راحتُه ... لم يوفَّ بالجيش مشروبٌ، وماكولُ

نعمْ ولو لم يحزْ خَصْلَ السباق لَما ... حدَا بمسراه ميكَالُ وجبريلُ[4]

نعمْ ولو لم يترْ في الأفقِ طالعُه ... ما كان بالزَّهر للآفَاقِ إكليلُ[5]

على البُراقِ إلى السبع الطباقِ علاَ ... لمستَوَى فيه للمحبُوبِ تحويلُ[6]

وأم بالرسل والأملاكِ قاطبة ... في مشهدٍ فيه تكريمٌ، وتبجيلُ

ونالَ سهمَ علا في المجد قرْطسهُ ... عن قاب قوسينِ ترحِيبٌ وتأهيلُ[7]

دنا لنه غتدلى، ثم خَصَّصه ... برويةٍ لم ينلها قبل مقبولُ

وفي مقام الهنا، والبسْطِ دلَّله ... وللحبِيبِ كما قد قيلَ تدليلُ[8]

وشاهدَ الله جهرا، واصطفاهُ بِمَا ... لم يحْوِهِ قالُ، أو يُوفِي بهِ قيلُ[9]

حيث الحِمَى مرتع والوِرْد منهمرٌ ... والشمل مجتمع، والستر مسْبولُ

---

[1] في (ط) متشح.

[2] من الآية الكريمة: "فجعلهم كعصف مأكول" الفيل/5.

[3] من قوله تعالى: "أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل" الفيل/3-4.

[4] البيت مفقود في (ط) و(ص) و(ع).

[5] في (ج) و(ع) لو لم يبن.

[6] في (ط) لمستواي، في (ع) لمستو.

[7] في (ع)و(ج) قربه، و: ترهيب.

[8] في (ج) داله.

[9] في (ج) يومي، قيل.

وعـاد والليـــل لم يقشَـعْ مخيِّمـه، ولا بدَا لِشعـاع الشمـس تخْيِـلُ
أحيَـا الظَّـلاَم بتـرتيـلٍ يرتِـلُـه، وللتـهجُّـدِ ترتيـب وتنـزيـلُ[1]
وشـدَّ للصوم كشحًا ناعمًا، وطَـوَى تحت الصَّفَا باطنًا ما فـيه تحويـلُ[2]
لـو أراد كنـوزَ الأرضَ لَتـفتَـحتْ، ولم يغِبْ منهـا عنْـه محصـولُ
لكنَّـه جـل قدرا أن يميـل لِمَا فيـه عن الحـق تسـويـفٌ، وتسـويـلُ[3]
مستيقـظُ القلب إن نامـت محاجـره لم يعترِيـهِ إذا مـا قـام تغفيـلُ[4]
بلمسـه الشـاة درَّتْ، وهي حائلـة فيالهُ مـن حليـبٍ فـيه ترسيـلُ[5]
والضـبُّ خاطبـه بالصـدق معترِفًـا وكـانَ في نطـقـه لله تبتيـلُ[6]
والفحـلُ ذلَّ له طـوعـا، وكلمـه، وكانَ فحلاً له بالبَـاسِ تفحـيلُ[7]
ودَّ لحْظَ فَدِيكٍ كيـف كـانَ، كمَـا أعـاد شقَّ حبيب، وهو مفصـولُ
ورد كفَّ ابن عفـرَا بعدمـا قطعـت بتفل ريـق بـه للملْـح تعسيـلُ[8]
وأوقف الشمـسَ يـوم الأربعـاء إلى أنْ وفَّتِ العير ما قد صرَّف القـيلُ[9]

---

[1] - في (ج) بترتيل، و: للتهجر.

[2] - في (ط) الصوم، في (ج) و(ع) الصبا، والصفا: موضع بالبطن.

[3] - في (ج)و (ع) إلى.

[4] - الشطر الثاني في (ج) مضطرب وهو: "فلم يعتر به إذا ما قام تفضل" وفي (ع) ما نام ولعله الصواب مراعاة لمعنى البيت و: مستيقنه، ويعتريه هذه الصورة فيه خطأ نحوي

[5] - في (ج) و(ع) يا لها.

[6] - تبتيل: منقطع إلى الله.

[7] - في (ع) بالناس تعجيل.

[8] - في (ط) له الملح.

[9] - في (ع) غير ما قد حرب، في(ج) عير.

وألقذ لجمل الشاكي عناه لما ... أضر به جوع وتنقيل[1]

والشمس أرجعها بعد المغيب كما ... لبثة لما دعا البيض اليعاليل[2]

والظل مال إليه حين غودر في السر مضا، وقد حاز عند القوم تقبيل[3]

والغدق لباه لما أن دعاه كما ... لبته لما دعا البيض اليعاليل[4]

والجذع حن له، غاب عنه كما ... حنت لتلحين شاديها المثاكيل[5]

في الصخر، والكتب، والألواح بانّ له ... دين قوم به الزيغ تبطيل

وفي الذراع، ودر العنز معتبر ... لمبصر لم تشكّكه التماحيل

وفي الحصى والعصا، والانشقاق له ... لناقل روّيت عنه الأقاويل

وفي الصبا، والحيا، والانشقاق له ... وجه بديع، وترفيه، وترفيل

وفي الحمار، في العضبا، ودلدله ... أدلة لن توهّيها التعاليل[6]

وفي الوليدة، والوادي، وغار حرا ... سر خفي به الإظهار موصول

وفي الحفير، وفي مدّ الكثيب له ... دليل صدق، لو أن الصدق مدلول[7]

وفي قتادة، والعرجون كم ظهرت ... مظاهر ليس تخفيها التحاييل

وفي الغزالة، والصيّاد معتمد ... لمهتد لم تجاذبه التضاليل[8]

---

[1] في (ع) عرج وتمغيل، في البيت كسر عروضي.

[2] في (ط) تفيل، ولعل العبارة تفيل باتباع السياق المستخلص من معنى البيت.

[3] البيت مفقود في (ع) وفي (ح) العصم الجنادل، واليعاليل: نفحات تكون فوق الماء.

[4] البيت مفقود في (ص) و(ط) ولعل ذلك ما سبب اختلاف عبارتي نهاية الشطر الثاني فتكررت في شطر هذا البيت في شطر هذا البيت، ولعل العبارة فيه هي العصم الجنادل التي وردت في نهاية البيت السابق، في (ح) و(ع).

[5] في (ع) إن غاب، في (ح) إذا، في (ع) شاهديها المشاكيل، في (ح) شاديها الكشاكيل

[6] في (ع) لم ترهبها، ودلدله: كذا، لعله أراد ما دل أو قوته.

[7] في (ح) هل، والحفير: يريد يريد حفر الخندق حول المدينة المنورة.

[8] في (ع) الضياء، وفي (ح) والضياء.

ولصة الفتح، والأصنام دامغة ... لرأس كل كفور فيه تمحيلُ

وفي ثبير، وفي ثور، وغار حرا ... نصر، وفتح، وتأييد، وتأثيلُ[1]

بابن الحمام، وحاك العنكبوت على ... غار عليه لستر الله تجليلُ[2]

وفيه قد قال تأنيبا لصاحبه ... لا تحزنَنَّ فوعْدُ الله مفعولُ[3]

كفالةُ الله صانته كفايتُها ... وهل يُناوَى فتًى بالله مكفولُ

وفي سراقة إذ ساح الجواد به ... هديٌ لباغٍ نجاة، وهو موصولُ

وحالةُ الذئب والراعي كم آبتهرَتْ ... بها عقولٌ لها بالشرك تخييلُ

وفي انقلاب العصا سيفا براحته ... خذلان باغٍ، وبَاغِي البغي مخذولُ[4]

في سفينةَ والضرغام أيُّ نَبَا ... لم يعترض متنَهُ نسخٌ وتأويلُ؟[5]

وفي الموالي، وفي أزواجه خبرٌ، ... به الأقاويل صحن، والأفاعيلُ

وفي الصحابة، والأتباع أيُّ هدًى ... لتائه شأنه حلٌّ، وترحيلُ[6]

وفي اللعينِ أبي جهل وشيعتهِ ... أمر عجاب به قد جاء جبريلُ[7]

وفي حنينٍ وفي بدرٍ، وفي أحدٍ ... إبطالُ مَا موَّهتْ تلك الأباطيلُ

وفي قريظةَ والأحزاب كم ظهَرت ... وفي هوازن للهادِي أفاعيلُ

وفي مَرِ يسيعَ كمْ ألقت صَوارمهُ ... من مفصَل فيه للطغيان تأصيلُ[8]

---

[1]- في (ج) و(ع) وفي كتم، وفيهما: وتاكيل، وتائيل: تاصيل.

[2]- في (ع) بستر، وفي (ط) تحليل.

[3]- في (ع) لا تحزعن.

[4]- في (ط) حذوى.

[5]- في (ط) لم يعترض، وفي (ج) و(ع) متنه، وفي (ط) منه.

[6]- في (ع) أتابه حد.

[7]- في (ط) قد جاء به، وفي (ع) وأتباعه.

[8]- في (ج) كما.

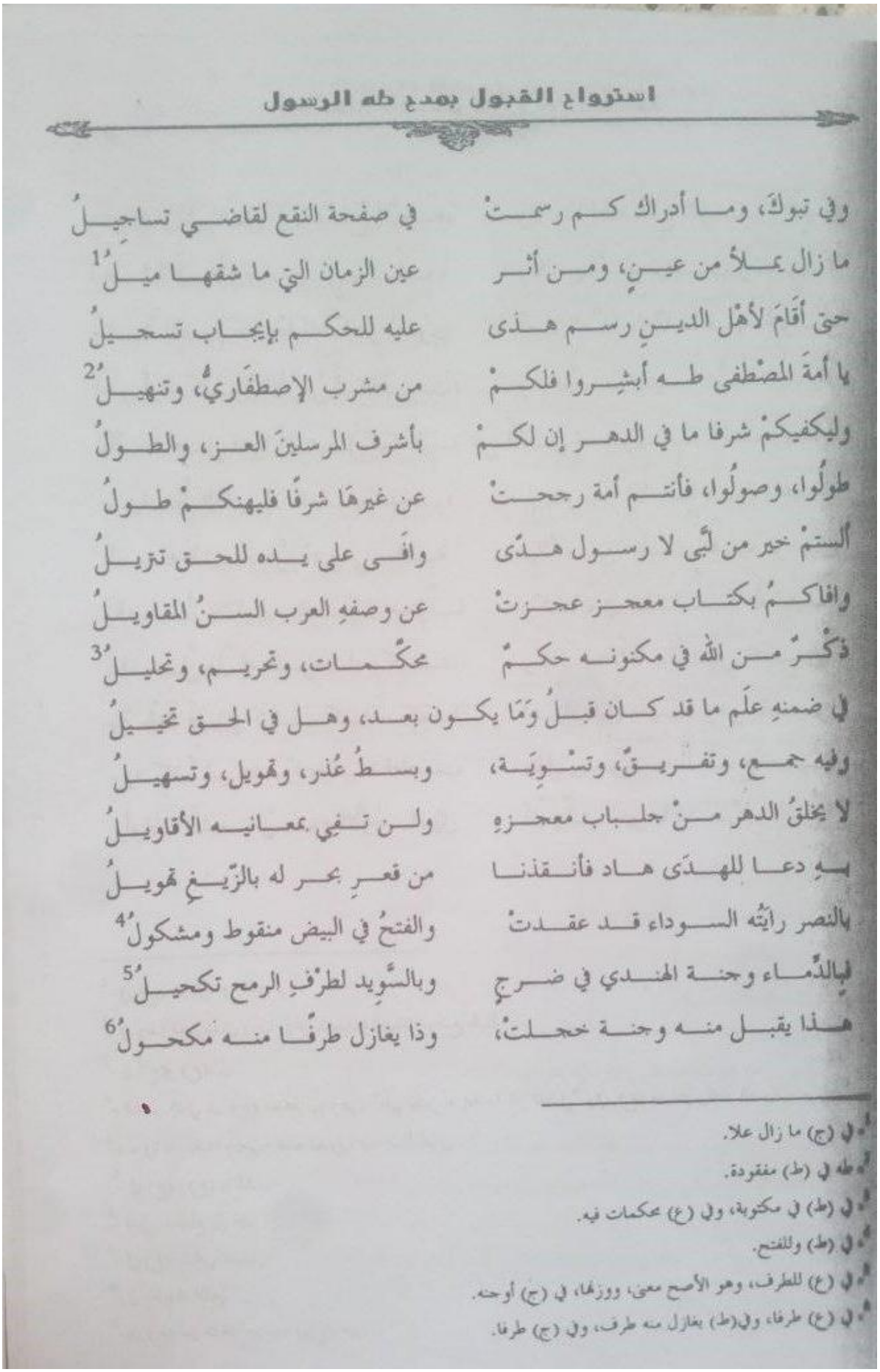

استرواح القبول بمدح طه الرسول

وفي تبوكَ، وما أدراكَ كم رسمتْ ... في صفحة النقع لقاضي تساجيلُ

ما زال يملأ من عينٍ، ومن أثرٍ ... عين الزمان التي ما شقها ميلُ[1]

حتى أقامَ لأهْل الدينِ رسم هدًى ... عليه للحكم بإيجاب تسجيلُ

يا أمةَ المصْطفى طه أبشِروا فلكمْ ... من مشرب الإصطفَاريُّ، وتنهيلُ[2]

وليكفيكمْ شرفا ما في الدهر إن لكمْ ... بأشرف المرسلينَ العز، والطولُ

طولُوا، وصولُوا، فأنتم أمة رجحتْ ... عن غيرهَا شرفًا فليهنكمْ طولُ

ألستمْ خير من لبَّى لا رسول هدًى ... وافَى على يده للحق تنزيلُ

وافاكمُ بكتاب معجز عجزتْ ... عن وصفهِ العرب السنُ المقاويلُ

ذكْرٌ من الله في مكنونه حكمٌ ... محكَّمات، وتحريم، وتحليلُ[3]

في ضمنهِ علَم ما قد كان قبلُ وَمَا يكون بعد، وهل في الحق تخييلُ

وفيه جمع، وتفريقٌ، وتسْوِيَة، ... وبسطُ عُذر، وتهويل، وتسهيلُ

لا يخلقُ الدهر منْ جلباب معجزهِ ... ولن تفِي بمعانيه الأقاويلُ

بهِ دعا للهدَى هاد فأنقذنا ... من قعرِ بحر له بالزّيغ تهويلُ

بالنصر رايتُه السوداء قد عقدتْ ... والفتحُ في البيض منقوط ومشكولُ[4]

فبالدِّماء وجنة الهندي في ضرجٍ ... وبالسَّويد لطرْفِ الرمح تكحيلُ[5]

هذا يقبل منه وجنة خجلتْ، ... وذا يغازل طرفًا منه مكحولُ[6]

---

[1] في (ج) ما زال علا.

[2] طه في (ط) مفقودة.

[3] في (ط) في مكتوبة، وفي (ع) محكمات فيه.

[4] في (ط) وللفتح.

[5] في (ع) للطرف، وهو الأصح معنى، ووزنا، في (ج) أوجه.

[6] في (ع) طرفا، وفي(ط) يغازل منه طرف، وفي (ج) طرفا.

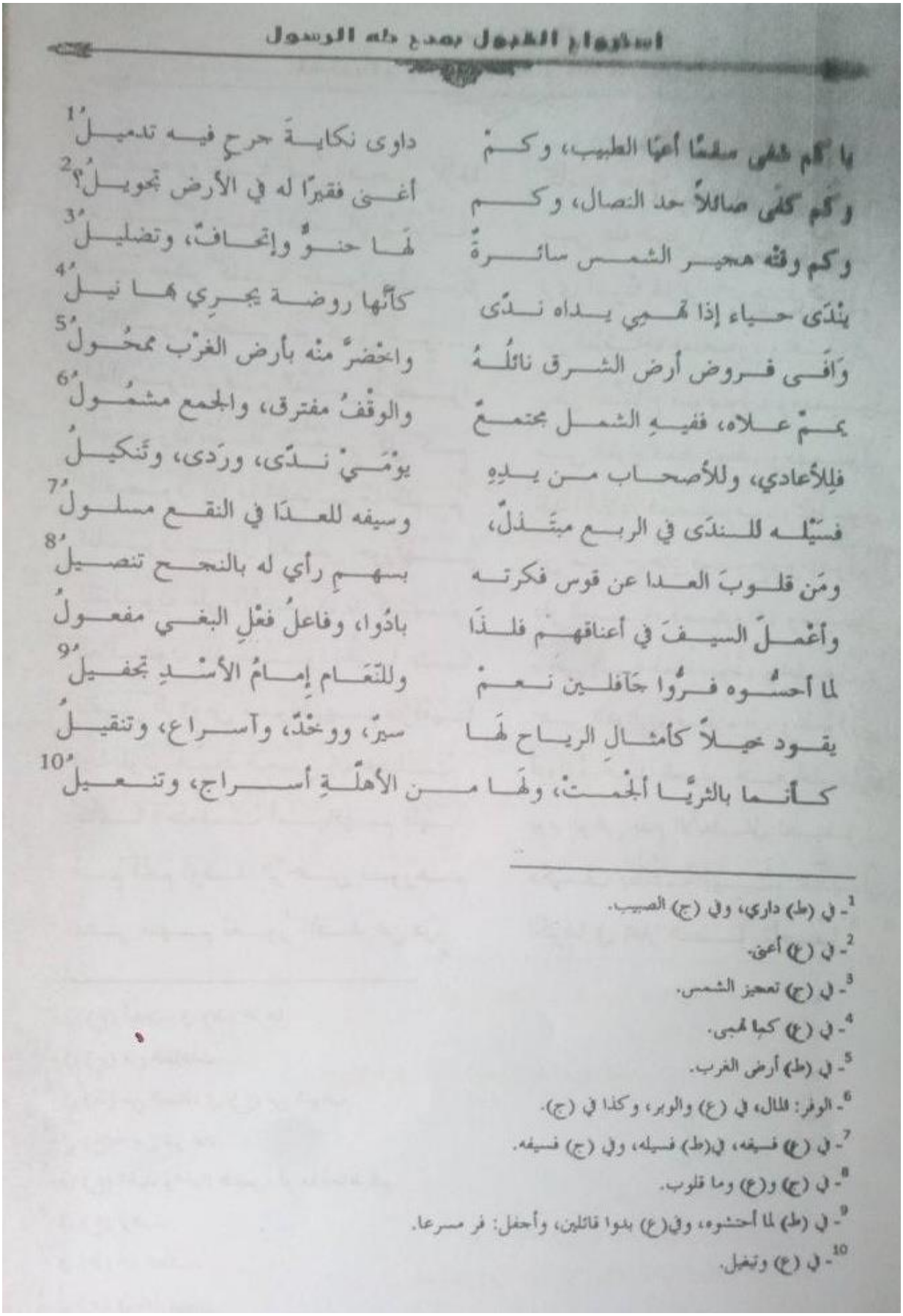

استوهاب القبول بمدح الله الرسول

يا كم شفى سقمًا أعيا الطبيب، وكم ... داوى نكاية جرح فيه تدميلُ[1]

وكم كفى صائلاً حد النصال، وكم ... أغنى فقيرًا له في الأرض تجويلُ؟[2]

وكم وقته محير الشمس سائرةً ... لها حنوٌّ وإنحافٌ، وتضليلُ[3]

ينْدَى حياء إذا تهمي يداه ندًى ... كأنها روضة يجري بها نيلُ[4]

وافى فروض أرض الشرق نائلُهُ ... واخضرَّ منه بأرض الغرْب ممحُولُ[5]

يمّم علاه، ففيهِ الشمل مجتمعٌ ... والوفْقُ مفترق، والجمع مشمُولُ[6]

فلِلأعادي، وللأصحاب من يدِهِ ... يوْمَيْ ندًى، وردًى، وتنكيلُ

فسَيْله للندَى في الربع مبتذلٌ، ... وسيفه للعدَا في النقع مسلولُ[7]

ومَن قلوبَ العدا عن قوس فكرته ... بسهمِ رأي له بالنجح تنصيلُ[8]

وأعْملَ السيفَ في أعناقهم فلذَا ... بادُوا، وفاعلُ فعْلِ البغي مفعولُ

لما أحسُّوه فرُّوا جَافلين نعمْ ... وللتعَام إمامُ الأسْدِ تجفيلُ[9]

يقود خيلاً كأمثالِ الرياح لها ... سيرٌ، ووخْدٌ، وآسراع، وتنقيلُ

كأنما بالثريَّا ألجمتْ، ولها ... من الأهلّةِ أسراج، وتنعيلُ[10]

---

[1]- في (ط) داري، وفي (ج) الصبيب.

[2]- في (ع) أعنى.

[3]- في (ج) تعجيز الشمس.

[4]- في (ع) كما لمبى.

[5]- في (ط) أرض الغرب.

[6]- الوفر: المال، في (ع) والوبر، وكذا في (ج).

[7]- في (ع) فسيفه، في(ط) فسيله، وفي (ج) فسيفه.

[8]- في (ج) و(ع) وما قلوب.

[9]- في (ط) لما أحتشوه، وفي(ع) بدوا قائلين، وأجفل: فر مسرعا.

[10]- في (ع) وتغيل.

نـادهـم بـرداء الليـل مشتمـل ... له الضحى غرة، والفجر تحجيـلُ[1]

نهد، عريـضٌ، طويـل لجيـدٍ مجتمـعٌ ... ضافي التليلِ، حديد القرْنِ ذُهْلُـولُ[2]

رحبُ اللبان، غليـظُ السَّاق مرتـفـع ... طلق العنانِ، بعيد الشأو، معـدولُ[3]

يقـصر البَـرقُ عنـه، والريـاح إذا ... ما قالتِ الخيل: يا حرب الوغى جولُوا[4]

وأشهـبٌ في غَدِيرِ الصبـح منغمـسٌ، ... وأصفـرٌ بمذاب التِّبْـرِ مغسـولُ[5]

وأخضـرٌ بـحلى الريحـان منتشـحٌ ... وأحـمـر برداء الـورد مشمـولُ

وكلُّ حـرف صُلخـدات لها عـنُـقٌ ... مهمـا تسيرُ، وإرْفـال، وتدميـلُ[6]

عوجاءُ، في السراءُ، في أخفاقهـا سَعـةٌ ... في ظهرها قصَرٌ، وفي جيدها طـولُ[7]

قوداءُ، كرمـاء، وفي عرنينهـا شمـمٌ ... كـم خلّفـتْ أمما إذْ أمَّها ميـل[8]

غيـر أنّـه، ميْلـعٌ، حرفـاء عانسـةٌ ... كأنهـا عندما تنسابُ عُـسْقُـولُ[9]

عينـاء، وجنـاءُ، شِمـلاَل، شمرذلـة ... عَصْباء، ورقاء، رأسُ النوقِ شمليل[10]

1- ب (ط) مشمل.

2- تليل: قوي شديد، أصيل، والذهلول: الجواد.

3- ب (ط) التاوى، رحب اللبان: عريض الصدر، والشأو: الغاية والأمد.

4- ب (ع) إذا ما قالت الحرب: يا خيل، وهو الأصح المستقيم مع المعنى.

5- ب (ج) بمزاب، وفي (ع) التبر.

6- ب (ع) وترميل، في (ج) تذميل، في (ط) عنو، وتذميل والخرف الناقة الهزيلة و: صلخداة: الناقة الشديدة.

7- ب (ج) و(ع) عرحاء فيهما (ج)و (ع) ميل في (ط) في أخفافها، وعوجاء: كثيرة الإنجاب، والخف للبعير كالحافر للفرس.

8- ب (ع) صوداء كومل وقوداء: مناقدة طيعة، العران: في الأصل العود الذي يوضع في أنف الناقة، والمقصود هنا أنفها.

9- ب (ط) مبلغ خرقاء، في (ع) غير أنه، خرقاء: هزيلة ولعله يريد سريعة والعسقول: مرتفع الرأس.

10- الوجناء: الناقة الشديدة، عيناء: واسعة العينين، وشملال: سريعة، شرمذلة: سريعة والعضباء: اسم ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه معنى أنها مقطوعة الأذن أو قصيرة اليد كباقي النق غير ناقته صلى الله عليه وسلم، ورقاء: في لونها بياض إلى سواد.

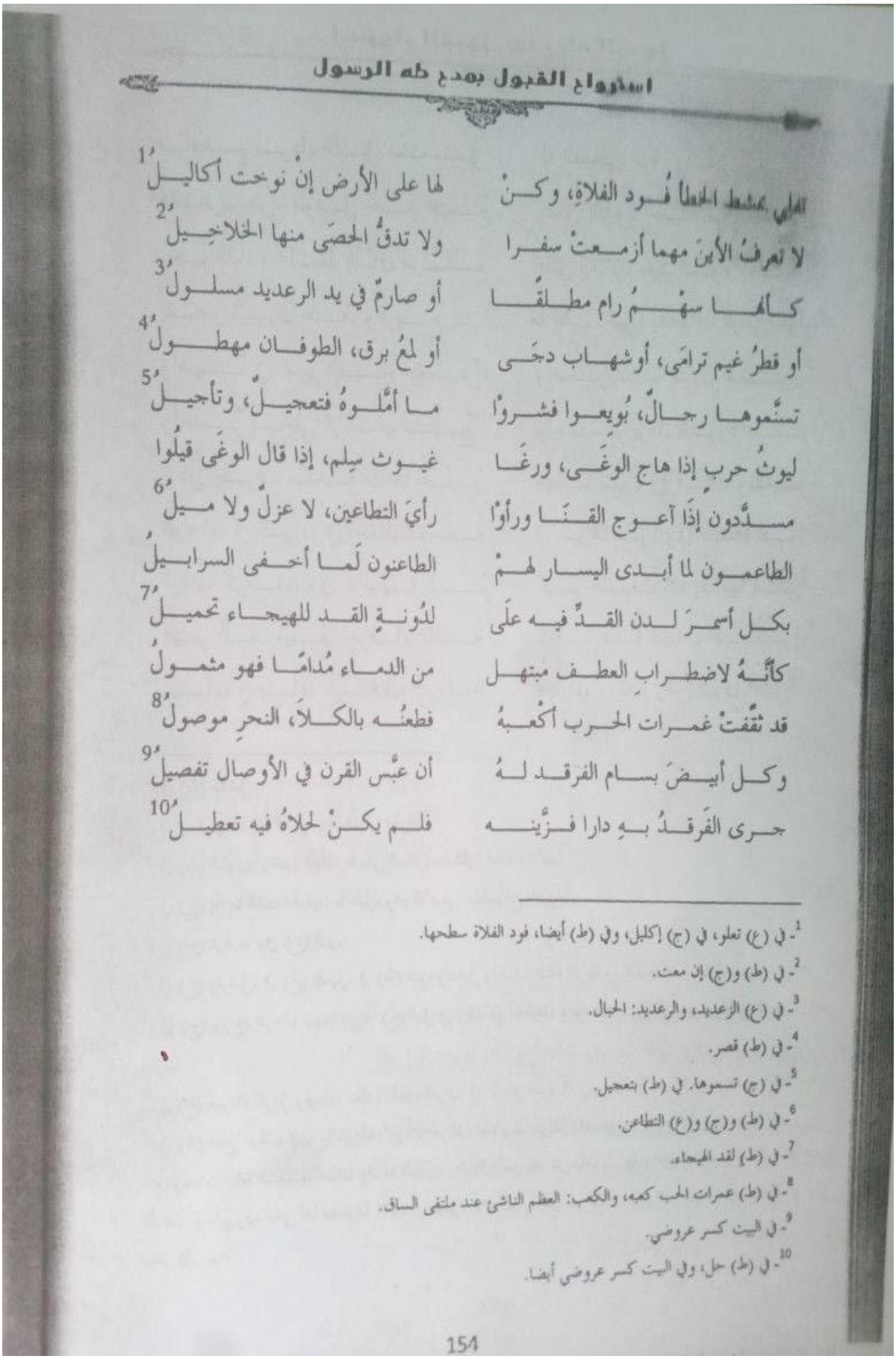

استرواح القبول بمدح طه الرسول

تعلي بمنسط الخطا فُود الفلاةِ، وكنْ ... لها على الأرض إنْ نوحت أكاليلُ[1]

لا تعرفُ الأينَ مهما أزمعتْ سفرا ... ولا تدقُّ الحصَى منها الخلاخِيلُ[2]

كأنها سهمُ رام مطلقًا ... أو صارمٌ في يد الرعديد مسلولُ[3]

أو قطرُ غيم ترامَى، أوشهاب دجَى ... أو لمعُ برق، الطوفان مهطولُ[4]

تسنَّموها رجالٌ، بُويعوا فشروْا ... ما أمَّلوهُ فتعجيلٌ، وتأجيلُ[5]

ليوثُ حربٍ إذا هاج الوغَى، ورغَا ... غيوث سِلم، إذا قال الوغَى قيلُوا

مسدَّدون إذَا آعوج القنَا ورأوْا ... رأيَ التطاعين، لا عزلٌ ولا ميلُ[6]

الطاعمون لما أبدى اليسار لهمْ ... الطاعنون لَما أخفى السرابيلُ

بكل أسمرَ لدن القدِّ فيه علَى ... لدُونةِ القد للهيجاء تحميلُ[7]

كأنَّهُ لاضطرابِ العطف مبتهل ... من الدماء مُدامًا فهو مثمولُ

قد ثقَّفتْ غمرات الحرب أكْعبهُ ... فطعنُه بالكلاَ، النحرِ موصولُ[8]

وكل أبيضَ بسام الفرقد لهُ ... أن عبَّس القرن في الأوصال تفصيلُ[9]

جرى الفَرقدُ بهِ دارا فزَّينه ... فلم يكنْ لحلاهُ فيه تعطيلُ[10]

---

[1]- في (ع) تعلو، في (ج) إكليل، وفي (ط) أيضا، فود الفلاة سطحها.

[2]- في (ط) و(ج) إن معت.

[3]- في (ع) الزعديد، والرعديد: الجبال.

[4]- في (ط) قصر.

[5]- في (ج) تسموها. في (ط) بتعجيل.

[6]- في (ط) و(ج) و(ع) التطاعن.

[7]- في (ط) لقد الهيجاء.

[8]- في (ط) عمرات الحب كعبه، والكعب: العظم الناشئ عند ملتقى الساق.

[9]- في البيت كسر عروضي.

[10]- في (ط) حل، وفي البيت كسر عروضي أيضا.

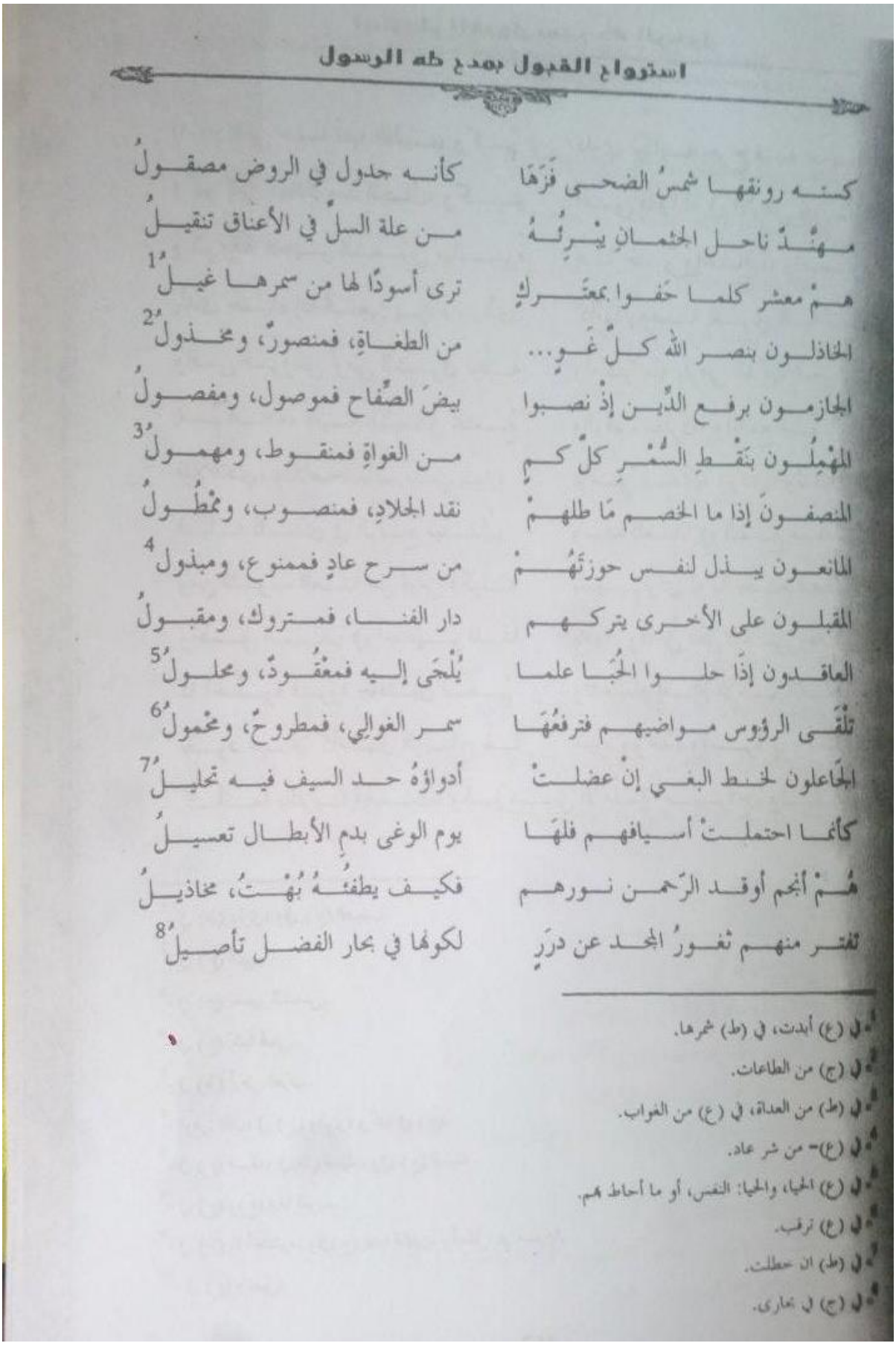

استرواح القبول بمدح طه الرسول

كسته رونقها شمسُ الضحى فزَهَا ... كأنه جدول في الروض مصقولُ

مهنَّدٌ ناحل الجثمانِ ينْرِئُهُ ... من علة السلِّ في الأعناق تنقيلُ

همْ معشر كلما حَفوا بمعتركٍ ... ترى أسودًا لها من سمرها غيلُ[1]

الخاذلون بنصر الله كلَّ غَوٍ ... من الطغاةِ، فمنصورٌ، ومخذولُ[2]

الجازمون برفع الدِّين إذْ نصبوا ... بيضَ الصِّفاح فموصول، ومفصولُ

المهْمِلُون بنَقْطِ السُّمْرِ كلَّ كمٍ ... من الغواةِ فمنقوط، ومهمولُ[3]

المنصفونَ إذا ما الخصم مَا طلهمْ ... نقد الجلادِ، فمنصوب، ومنْطُولُ

المانعون يبذل لنفس حوزتُهُمْ ... من سرح عادٍ فممنوع، ومبذولُ[4]

المقبلون على الأخرى يتركهم ... دار الفنا، فمتروك، ومقبولُ

العاقدون إذَا حلوا الحُبَا علما ... يُلْجَى إليه فمعْقُودٌ، ومحلولُ[5]

تلْقَى الرؤوس مواضيهم فترفعُهَا ... سمر الغوالي، فمطروحٌ، ومحمولُ[6]

الجَاعلون لخط البغي إنْ عضلتْ ... أدواؤهُ حد السيف فيه تحليلُ[7]

كأنما احتملتْ أسيافهم فلهَا ... يوم الوغى بدمِ الأبطال تعسيلُ

همْ أنجم أوقد الرَّحمن نورهم ... فكيف يطفئُهُ بُهْتٌ، مخاذيلُ

تفتر منهم ثغورُ المجد عن درَرٍ ... لكونها في بحار الفضل تأصيلُ[8]

---

[1] ل (ع) أبدت، في (ط) ثمرها.

[2] ل (ج) من الطاعات.

[3] ل (ط) من العداة، في (ع) من الغواب.

[4] ل (ع)- من شر عاد.

[5] ل (ع) الحيا، والحيا: النفس، أو ما أحاط بهم.

[6] ل (ع) ترقب.

[7] ل (ط) ان حطلت.

[8] ل (ج) في بحاري.

أنّـى أم العـلا لو لم يجـئ هـمُ ... لم تزْك أصلاً، ولم يُذكر لها حـيلُ[1]

هـمُ الضراغـم شـد الله وطـأتهـمْ ... فما هم عن مقام الحـرب تهليـلُ[2]

من ذَا يقاومهـم، أو مـنْ يناظرهـم ... وهمْ همُ الشم، والبيض، البهَاليـلُ[3]

أم كيفَ يحكـون، والرّحمـن فضلهـمْ ... بالمصطفَى، ولهم بالفتـح تفضيـلُ؟

فهـم على مركـز الإفـاق ألـويـةٌ، ... ولهم على مـفرق العليـاء إكليـلُ

هداهـمُ للهدى هـادٍ بـه آنصحـت ... سُبْل الهدى، واجلتْ عنها المخاييـلُ

ذُو المعجزات التي عنها الورى عجـزَتْ ... وليس يَحصرها قـال، ولا قيـلُ[4]

فـهـي النجـوم لصبٌ فيه متّبـع ... وهي الرجـوم لخبٌ فيـه ممحـيلُ[5]

هو الحبيبُ الذي لا بـد مـنه وقـلْ ... هو الشفيع الذي ما عـنه تحويـلُ

وهو الشهيدُ، الرؤوفُ، البر، من شهدتْ ... بصـدق مبْعثـهِ الغـر، الأناجـيلُ

وهو الكريم عـلى اللهِ الكريـمِ فمَـا ... شئتم فقولوا إذا أطنبـتم، قُولُـوا[6]

فمبْـدأ القـول فيـه لا انتهـاءَ لـهُ، ... وغايـة العلـم فيـه أنـه السُّولُ[7]

عـزّ المثـيل فـلا نـد يماثـلـهُ، ... وهل يماثـلُ بـدرَ التَـمِّ قنديـلُ؟

أو هـل يشابـه رأسَ الطـهر طائـرُه، ... أو يعادلُ عنقَـا مغربِ الفـيلُ؟![8]

---

[1]- هناك اضطراب في الشطر الثاني في (ص) و(ع).

[2]- في (ط) فعالهم.

[3]- في (ع) أو من ذا يناظرهم، والبهاليل: الضاحكة، والمراد اللامعة.

[4]- في (ط) الور.

[5]- في (ع) بحن.

[6]- في (ع) إذا كتم قول.

[7]- في (ط) و(ع) فمبتدأ، في (ح) مبتدأ القول.

[8]- في (ع) و(ط) دائرة، في (ح) دايره، في (ع) عنقاء.

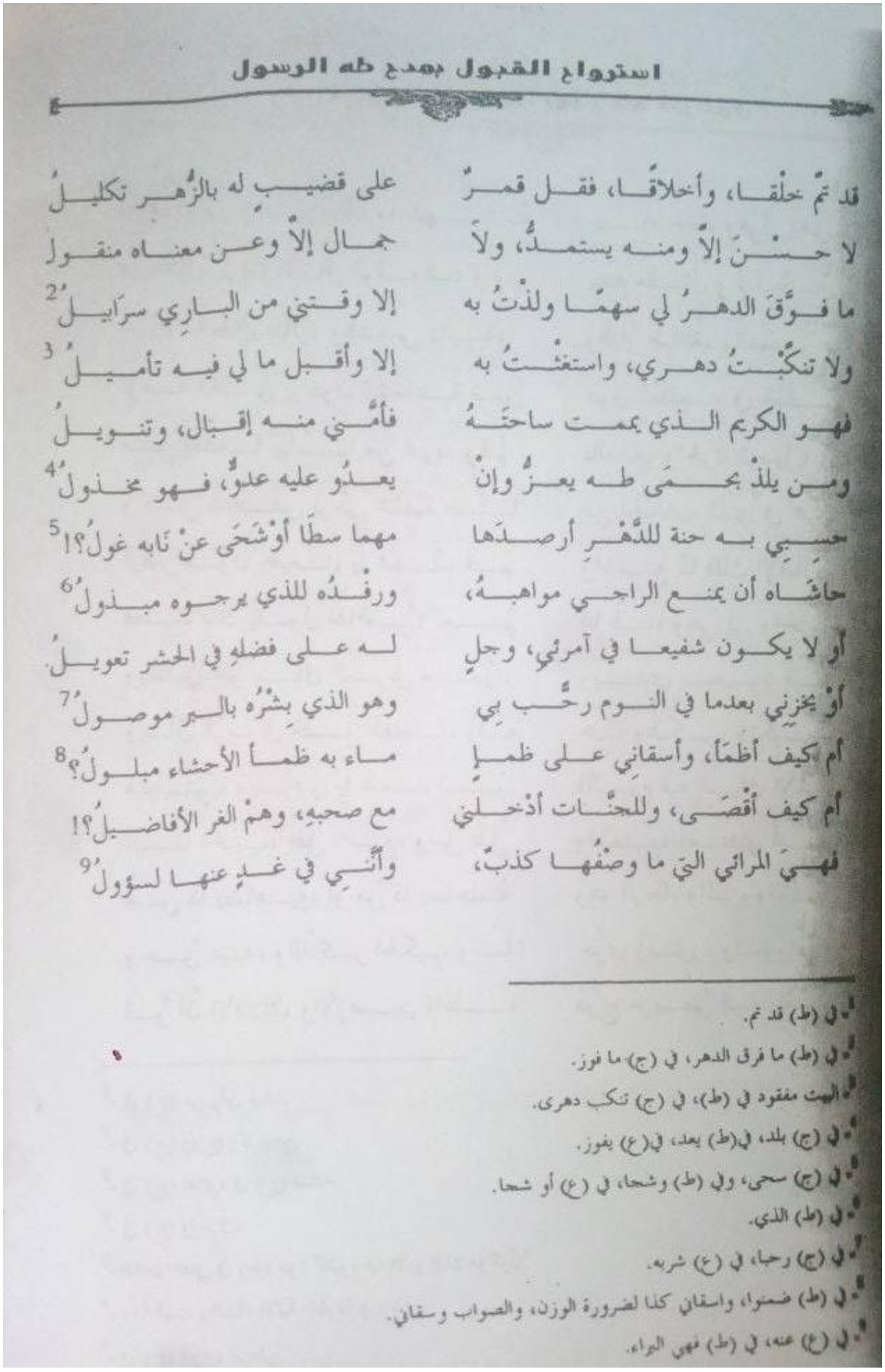

استرواح القبول بمدح طه الرسول

قد تمّ خلْقـا، وأخلاقًـا، فقـل قمـرٌ ... على قضيـبٍ له بالزُّهـر تكليـلُ

لا حسْـنَ إلاّ ومنـه يستمـدُّ، ولاَ ... جمـال إلاّ وعـن معنـاه منقـولُ

ما فـوَّقَ الدهـرُ لي سهمًـا ولذْتُ به ... إلا وقـتني من البـارِي سرَابيـلُ[2]

ولا تنكَّبْـتُ دهـري، واستغثْـتُ به ... إلا وأقـبل ما لي فيـه تأميـلُ[3]

فهـو الكريم الـذي يممـت ساحتَـهُ ... فأمَّـني منـه إقـبال، وتنـويـلُ

ومـن يلذْ بحـمَى طـه يعـزُّ وإنْ ... يعـدُو عليه عدوٌّ، فـهو مخـذولُ[4]

حسبِي بـه حنة للدَّهْـرِ أرصـدَها ... مهما سطَا أوْشَحَى عنْ نَابه غولُ؟![5]

حاشَـاه أن يمنـع الراجـي مواهبـهُ، ... ورفْـدُه للذي يرجـوه مبـذولُ[6]

أو لا يكـون شفيعـا في آمرئٍ، وجلٍ ... لـه عـلى فضلِهِ في الحشر تعويـلُ

أوْ يخزِني بعدما في النـوم رحَّـب بِي ... وهو الذي بِشْرُه بالـبر موصـولُ[7]

أم كيف أظمَأ، وأسقانِي عـلى ظمـإٍ ... مـاء به ظمـأ الأحشاء مبلـولُ؟[8]

أم كيف أقْصَـى، وللجنَّـات أدْخـلني ... مع صحبِهِ، وهمْ الغر الأفاضـيلُ؟!

فهـيَ المرائي التي ما وصْفُهـا كذبٌ، ... وأنّـي في غـدٍ عنهـا لسؤولُ[9]

---

[1] في (ط) قد تم.

[2] في (ط) ما فرق الدهر، في (ج) ما فوز.

[3] البيت مفقود في (ط)، في (ج) تنكب دهري.

[4] في (ج) بلذ، في(ط) يعد، في(ع) يفوز.

[5] في (ج) سحى، وفي (ط) وشحا، في (ع) أو شحا.

[6] في (ط) الذي.

[7] في (ج) رحبا، في (ع) شربه.

[8] في (ط) ضمنوا، واسقاني كذا لضرورة الوزن، والصواب وسقاني.

[9] في (ع) عنه، في (ط) فهي البراء.

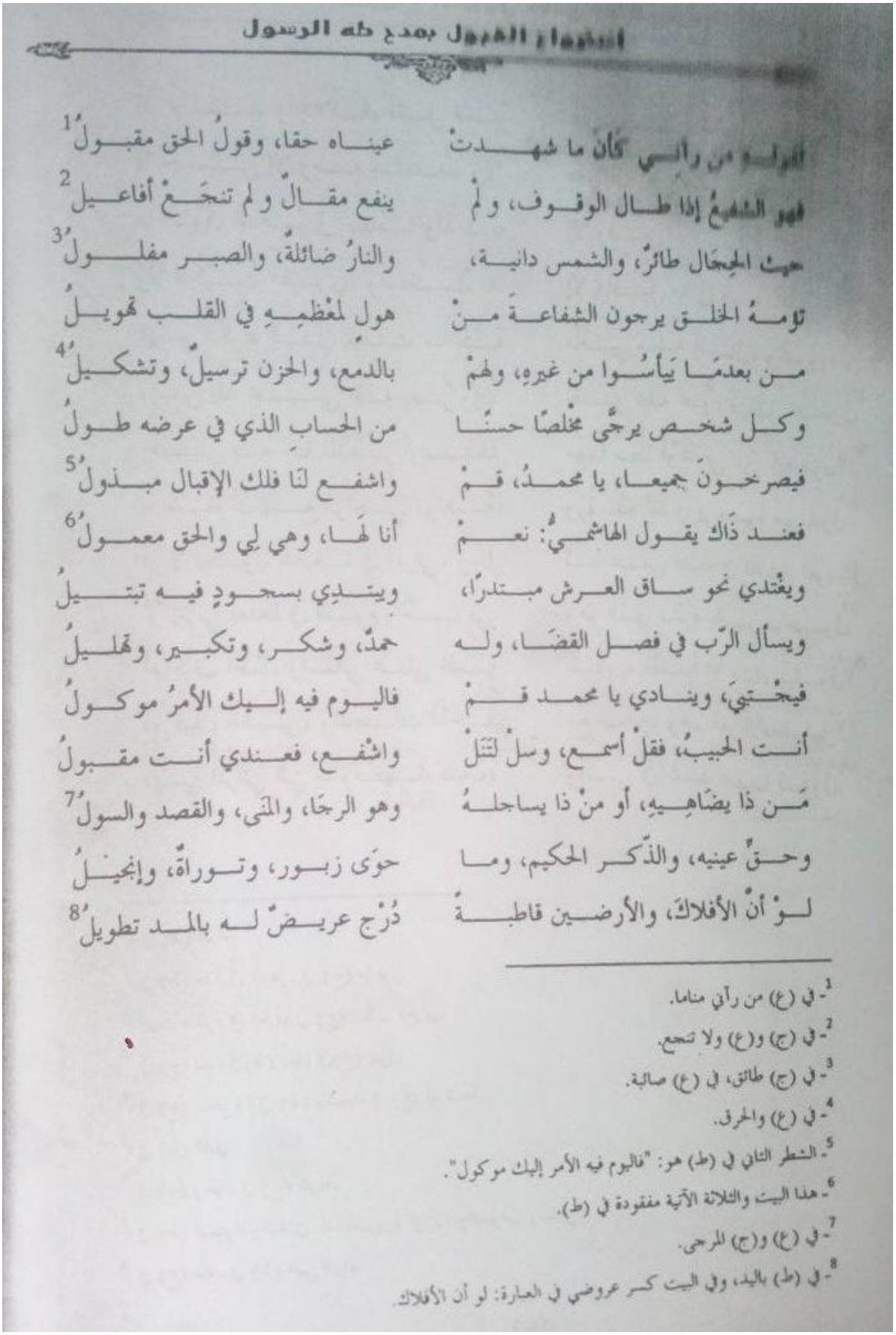

انتهاء القول بمدح طه الرسول

الواصفون من رآني كان ما شهدت ... عيناه حقا، وقولُ الحق مقبولُ[1]

فهو الشفيعُ إذا طال الوقوف، ولمْ ... ينفع مقالٌ ولم تنجَعْ أفاعيل[2]

حيث الحِجَال طائرٌ، والشمس دانية، ... والنارُ ضائلةٌ، والصبر مفلولُ[3]

تؤمهُ الخلق يرجون الشفاعةَ منْ ... هولٍ لمعْظمِهِ في القلب تهويلُ

من بعدمَا يَأسُوا من غيرهِ، ولهمْ ... بالدمع، والحزن ترسيلٌ، وتشكيلُ[4]

وكل شخص يرجّى مخلصًا حسنًا ... من الحسابِ الذي في عرضه طولُ

فيصرخونَ جميعا، يا محمدُ، قمْ ... واشفع لنَا فلك الإقبال مبذولُ[5]

فعند ذَاك يقول الهاشميُّ: نعمْ ... أنا لَهَا، وهي لِي والحق معمولُ[6]

ويغْتدي نحو ساق العرش مبتدرًا، ... ويبتدِي بسجودٍ فيه تبتيلُ

ويسأل الرّب في فصل القضَا، وله ... حمدٌ، وشكر، وتكبير، وتهليلُ

فيجْتبِيَ، وينادي يا محمد قمْ ... فاليوم فيه إليك الأمرُ موكولُ

أنت الحبيبُ، فقلْ أسمع، وسلْ تُنَلْ ... واشْفع، فعندي أنت مقبولُ

مَن ذا يضَاهِيهِ، أو منْ ذا يساجلهُ ... وهو الرجَا، والمنى، والقصد والسولُ[7]

وحقّ عينيه، والذّكر الحكيم، وما ... حوَى زبور، وتوراةٌ، وإنجيلُ

لوْ أنّ الأفلاكَ، والأرضين قاطبةً ... دُرْج عريضٌ له بالمد تطويلُ[8]

---

[1]- في (ع) من رآني منامًا.

[2]- في (ج) و(ع) ولا تنجع.

[3]- في (ج) طائق، في (ع) صائبة.

[4]- في (ع) والحرق.

[5]- الشطر الثاني في (ط) هو: "فاليوم فيه الأمر إليك موكول".

[6]- هذا البيت والثلاثة الآتية مفقودة في (ط).

[7]- في (ع) و(ج) المرجى.

[8]- في (ط) باليد، وفي البيت كسر عروضي في العبارة: لو أن الأفلاك.

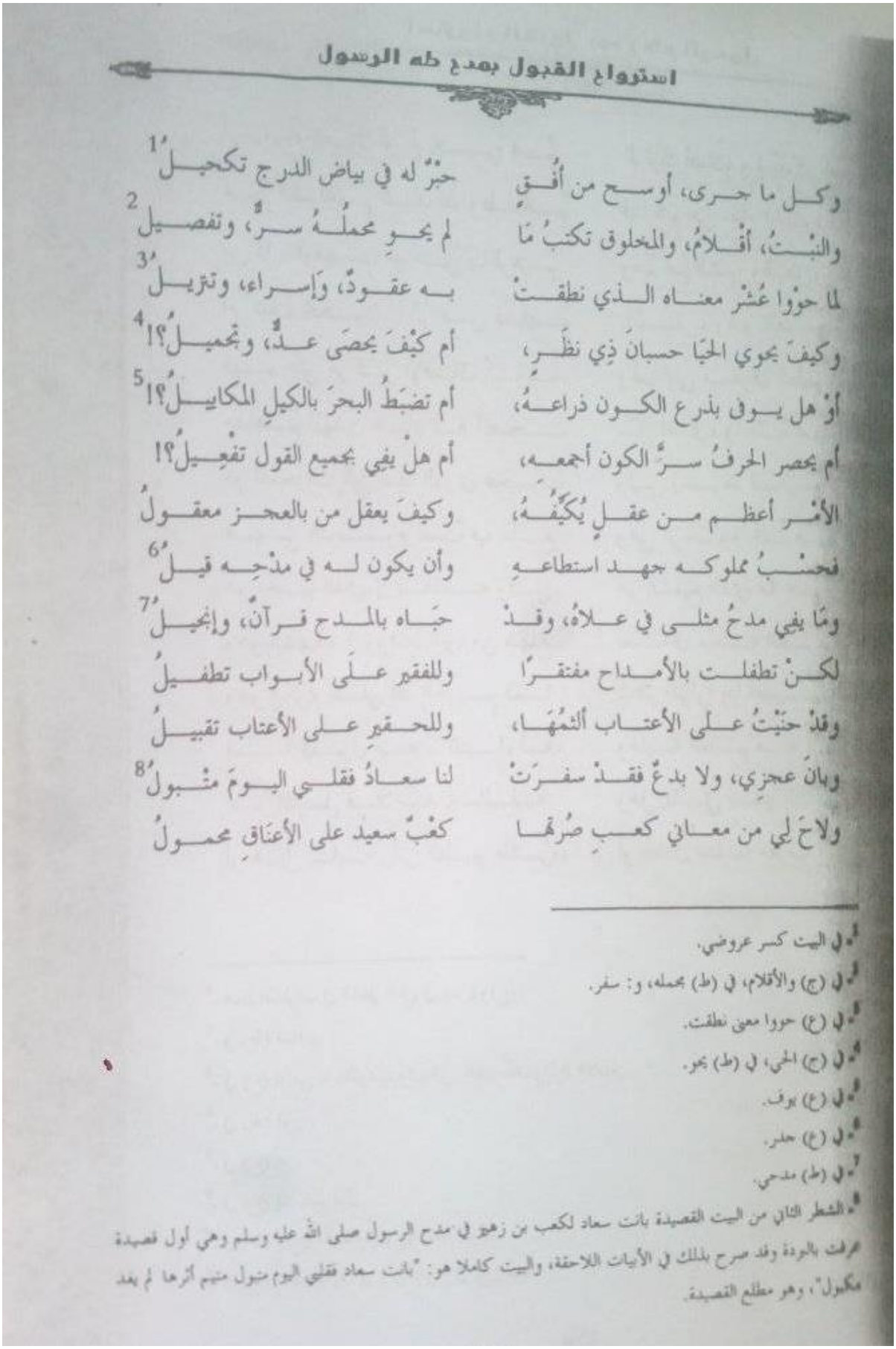

استرواح القبول بمدح طه الرسول

وكـل ما جـرى، أوسـح من أُفـقٍ ... حبرٌ له في بياض الدرج تكحيـلُ[1]

والنبـتُ، أقـلامُ، والمخلوق تكتبُ مَا ... لم يحـوِ محملُـهُ سـرٌّ، وتفصـيلُ[2]

لما حوَوا عُشْر معنـاه الـذي نطقـتْ ... بـه عقـودٌ، وإسـراء، وتنزيـلُ[3]

وكيفَ يحوي الحيَا حسبانَ ذِي نظَـرٍ، ... أم كيْفَ يحصَى عـدٌّ، وتجميـلُ؟![4]

أوْ هل يـوفى بذرع الكـون ذراعـهُ، ... أم تضبَطُ البحرَ بالكيلِ المكاييـلُ؟![5]

أم يحصر الحرفُ سـرَّ الكون أجمعـه، ... أم هلْ يفي بجميع القول تفعِـيلُ؟!

الأمْـر أعظـم مـن عقـلٍ يُكيِّفُـهُ، ... وكيفَ يعقل من بالعجـز معقـولُ

فحسْـبُ مملوكـه جهـد استطاعـهِ ... وأن يكون لـه في مدْحِـه قيـلُ[6]

ومَا يفي مدحُ مثلـى في عـلاهُ، وقـدْ ... حبَـاه بالمـدح فـرآنٌ، وإنجيـلُ[7]

لكـنْ تطفلـت بالأمـداح مفتقـرًا ... وللفقير عـلَى الأبـواب تطفـيلُ

وقدْ حنَيْتُ عـلى الأعتـاب ألثمُهَـا، ... وللحـقيرِ عـلى الأعتاب تقبيـلُ

وبانَ عجزِي، ولا بدعٌ فقـدْ سفـرَتْ ... لنا سعـادُ فقلـبي اليـومَ مثـبولُ[8]

ولاحَ لي من معـاني كعـبٍ صُرِّمَـا ... كعْبٌ سعيد على الأعنَاقِ محمـولُ

---

[1] في البيت كسر عروضي.

[2] في (ج) والأقلام، في (ط) بحمله، و: سفر.

[3] في (ع) حووا معنى نطقت.

[4] في (ج) الحي، في (ط) يحو.

[5] في (ع) يوف.

[6] في (ع) حلر.

[7] في (ط) مدحي.

[8] الشطر الثاني من البيت القصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهي أول قصيدة عرفت بالبردة وقد صرح بذلك في الأبيات اللاحقة، والبيت كاملا هو: "بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يجز مكبول"، وهو مطلع القصيدة.

وكمْ لكعبٍ يدٌ بيضاء سابقةٍ ... لنا بها في بيوتِ المدح تنقيلُ

فليهْنَ كعبا بما قدْ نالَ منزلةً ... في الخلدِ مربعها بالفضل مأهُولُ[1]

وليغنَ حسَّانُ بالتأييد أنَّ لهُ ... ما ليْسَ يعلوهُ تغييرٌ، وتبديلُ[2]

يا صفْوةَ الله ما مدْحِي بمبتدعٍ ... كلاَّ، ولا وصفكَ المعلوم مجهولُ[3]

أليسَ مدحُك وافَى في النساء، وفِي ... آيِ القتالِ، وفِي حَمٍّ تَنْزِيلُ[4]

يَا أكرم العرْب، يا أزكى الورى حسبًا ... يا أشرف الرسْلِ يا من قاله القيلُ

حسبِي انقطاعِي وامْدَاحِي، وتسْمِيَتِي ... يا خيرَ منْ أمه السنوق المراسيلُ[5]

أنت الشفيع، فكنْ لي حينَ يَنْزِلُ بي ... منْ عالِمِ الغيبِ أمْرٌ فيه تنكيلُ

وانظرْ إلى بعين البر تكرمةً ... وامنُنْ علي فمنك المنُّ مأمُولُ[6]

وجُدْ عَليَّ بما أوتيتَ من كرمٍ ... إن الكريمَ على الإكرَام مجبولُ

يا ربُّ وانصر لوَا الإسلام، وارحم حِمَاي ... رسم الهدايةِ أن يعرُوه تبطيلُ

وارفعْ منار مقاماتِ التُّقى فَبِهِ ... للزيغِ، والبغيِ تنكيسٌ، وتعطيلُ[7]

وآحرسْ مقام أميرِ المؤمنين فكَمْ ... لنا بنعماهُ تنويلٌ، وتمْوِيلُ[8]

---

[1]- في (ط) فليهد، بما قد قال، في (ع) فليكن.

[2]- في (ج) و(ع) يعروه وهو الأقرب إلى المعنى الدقيق.

[3]- في (ج) لمبتدع.

[4]- النساء يريد سورة النساء، وأي القتال يريد قوله تعالى: "**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير**" النساء/39. وحم أيضا سورة في القرآن الكريم.

[5]- في (ط) انقطاع، في (ج) النون، النوق المراسيل المسرعة.

[6]- في (ط) فمنك المعين مبلول.

[7]- في (ع) تكس، في (ص) وارفع منار التقى مقامات فيه، وكذلك في (ع) وهو ما يحطم الوزن، والصحيح ما أثبتناه من (ط) و(ج).

[8]- في (ط) بتويل، في (ج) واحرس غير مقروءة.

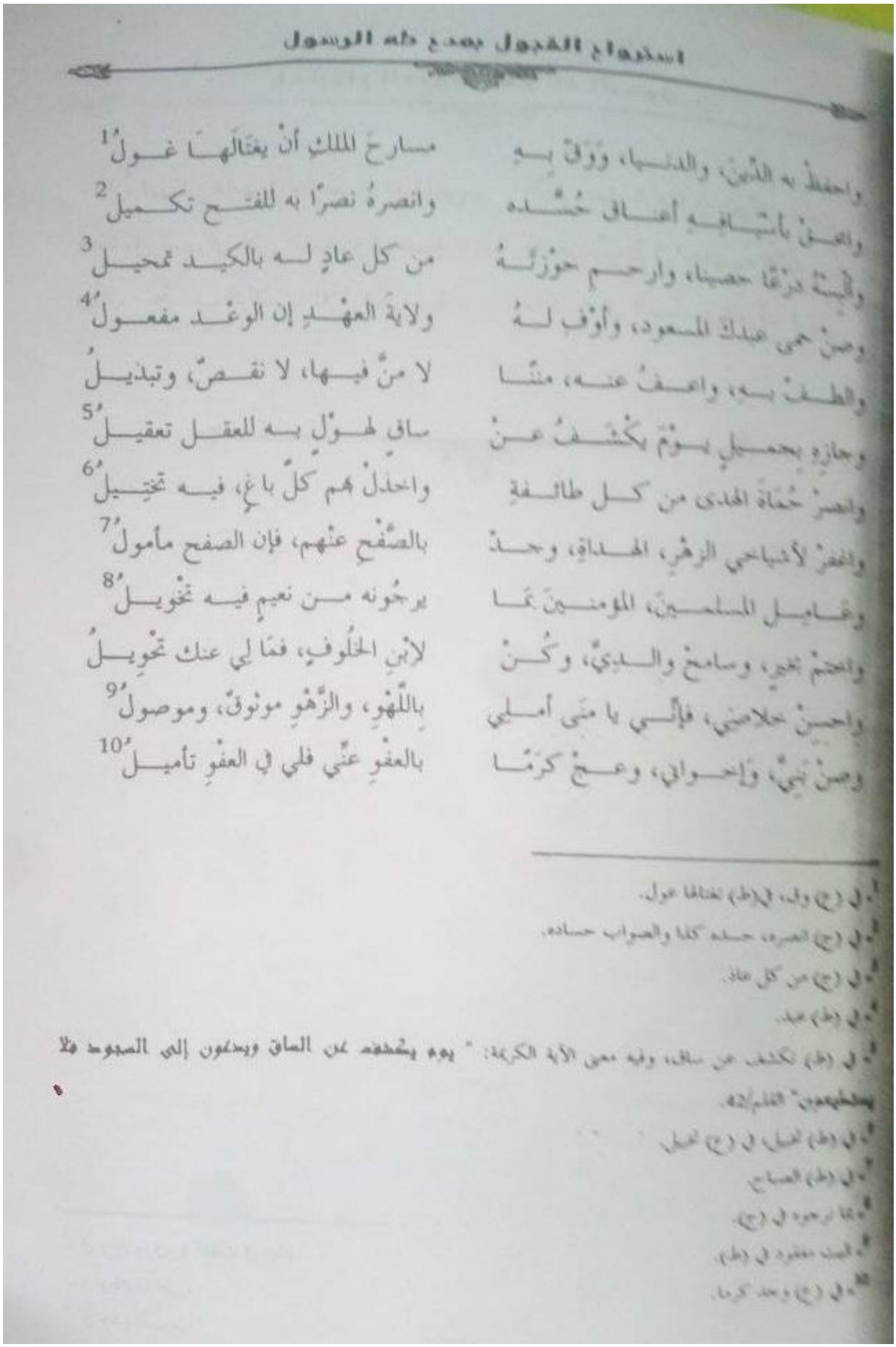

استدعاء القبول بمدح خير الرسول

واحفظْ به الدِّينَ، والدنيا، ووَقِّ بِهِ ... مسارحَ الملكِ أنْ يغتالَها غولُ[1]

وانصرْ بأشياعِهِ أعناقَ حُسَّدِه ... وانصرهُ نصرًا به للفتحِ تكميلُ[2]

والبسْهُ درْعًا حصينا، وارحمِ حوزتَهُ ... من كل عادٍ لـه بالكيدِ تمحيلُ[3]

وصنْ حمى عبدك المسعود، وأوْفِ لهُ ... ولايةَ العهْدِ إن الوعْدَ مفعولُ[4]

والطفْ بهِ، واعفُ عنه، منّا ... لا منَّ فيها، لا نقصٌ، وتبذيلُ

وجازِهِ بجميلٍ يومَ يكْشفُ عنْ ... ساقٍ لهولٍ بهِ للعقلِ تعقيلُ[5]

وانصرْ حُماةَ الهدى من كلِ طائفةٍ ... واخذلْ بهم كلَّ باغٍ، فيه تخْتِيلُ[6]

واغفرْ لأشياعِ الرِّفْدِ، الهداةِ، وجدْ ... بالصَّفْحِ عنهم، فإن الصفح مأمولُ[7]

وعاملِ المسلمينَ، المؤمنينَ بما ... يرجُونه من نعيمٍ فيه تخْويلُ[8]

واختمْ بخيرٍ، وسامحْ والديَّ، وكُنْ ... لابْنِ الخلُوفِ، فمَا لي عنك تحْوِيلُ

واحبِنْ خلاصي، فإني يا منى أملي ... باللَّهْوِ، والزَّهْوِ موثوقٌ، وموصولُ[9]

وصنْ نبيَّ، وإخواني، وعجْ كرَمًا ... بالعفوِ عنِّي فلي في العفوِ تأميلُ[10]

---

[1] في (ج وق)، في (ط) تغتالها غول.

[2] في (ج) انصره، حسده كذا والصواب حساده.

[3] في (ج) من كل عاد.

[4] في (ط) عبد.

[5] في (ط) تكشف عن ساق، وفيه معنى الآية الكريمة: " يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون" القلم/42.

[6] في (ط) تفعيل، في (ج) تفعيل.

[7] في (ط) الصباح.

[8] كذا ترجمه في (ج).

[9] ليست معقود في (ط).

[10] في (ج) وعد كرما.

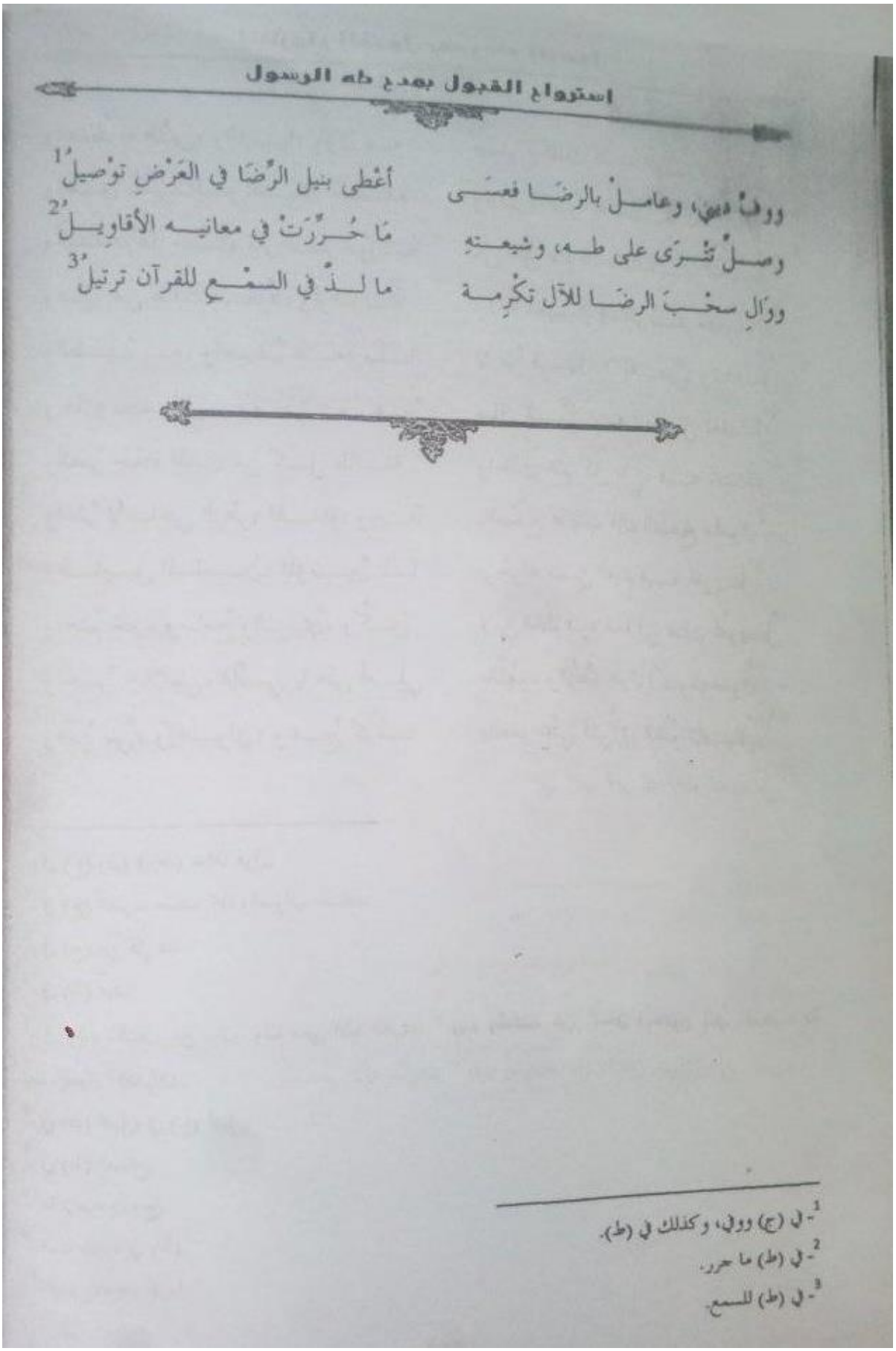

استرواح القبول بمدح طه الرسول

ووفِّ دينٍ، وعامِلْ بالرضَا فعسَى ... أعْطى بنيل الرِّضَا في العَرْضِ توْصيلُ[1]

وصِلْ تثْرَى على طه، وشيعتِهِ ... مَا حُرِّرَتْ في معانيه الأقاويلُ[2]

ووَالِ سحْبَ الرضَا للآل تكْرِمَةً ... ما لَذَّ في السمْعِ للقرآن ترتيلُ[3]

---

[1] - في (ج) ووفِ، وكذلك في (ط).

[2] - في (ط) ما حرر.

[3] - في (ط) للسمع.

فهرس

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة:.....	أ - ج
الفصل الأول: .....البديعيات المفاهيم والتصورات	30-11
تمهيد:	11-11
1. مفهوم البديعيات:.....:	16-12
أ.المفهوم اللغوي للبديعيات:.....	14-12
ب. المفهوم الإصطلاحي للبديعيات:.....	16-14
2. جذورها في الشعر الجزائري القديم:.....	21-16
3. التصوف والبديعيات:.....	26-21
4. مضمون البديعيات:.....	30-26
الفصل الثاني :بديعية ابن الخلوف "استرواح القبول بمدح طه الرسول" دراسة في المضامين والأنظمة البلاغية	67-32
– تمهيد:.....	32-32
أ. مضامين بديعية "ابن الخلوف القسنطيني":.....	41-33
1. المقدمة الغزلية:	41-33
2. مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم:.....	47-47
3. الدعاء والتضرع:	49-48
ب. النظام البلاغي في بديعية ابن الخلوف:	67-50
– تمهيد:	51-50
1. الموسيقى الخارجية:	51-50
أ. الوزن او الإيقاع:	51-51
ب. القافية:	52-52
ج. الروي:	53-52
د. التصريع:.....	54-53
2. الموسيقى الداخلية: ومن ضروبها:.....	67-55
أ. الجناس:	56-55
ب. الطباق:	58-57

فهرس

ج. الترديد:	59–58
3. الصورة الشعرية:	60–60
أ. الإستعارة:	62–60
ب. التشبيه:	63–62
ج. الكناية:.....	64–63
د. الإقتباس:.....	67–65
– الخاتمة:.....	70–69
– المصادر والمراجع:.....	74–72
– الملحق:.....	107–76
– الفهرس:.....	109–108
– الملخص:.....	111–111

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

هذه مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب الجزائري بعنوان: بديعية ابن الخلوف "استرواح القبول بمدح طه الرسول" مضمونها ونظامها البلاغي.

تتصت طبيعة هذه المذكرة للوصول إلى النتائج المرجوة منها، أن تكون في فصلين تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة.

فالمقدمة تضمنت حديثا عن أهمية الموضوع وسبب إختياره وخطة بحث ومنهجه.

اقتضى الفصل الأول المعنون ب: مفاهيم البديعيات "المفاهيم والتصورات" من مفاهيم البديعيات وتبيان جذورها في الشعر الجزائري القديم، إضافة الى العلاقات التي تجمعها بالتصوف فضلا عن المضامين التي يتغنى الشعراء فيها.

اما الفصل الثاني المعنون ب: "بديعية ابن الخلوف" استرواح القبول مدح طه الرسول "دراسة في المضامين والأنظمة البلاغية" فقد ينص البحث فيه بالنظام البلاغي للبديعية والمضامين التي وردت فيها.

وأخيرا جاءت الخاتمة فيها المعالم الكبرى للبحث والنتائج التي تتى إليها، تتلوها قائمة المصادر والمراجع وفهرس للموضوعات التي يتضمنها البحث، حتى يسهل على القارئ للوصول إلى مبتغاه في وقت وجيز.

الكلمات المفتاحية:

البديعية–المضمون–النظام البلاغي.

Summary:

Praise is to God, prayers and peace be upon the Messenger of God and all his family and companions, and after:

This is a thesis submitted to obtain a Master's degree in Algerian literature entitled: Badiyat Ibn al-Khallouf The Breath of Acceptance in Praise of Taha the Messenger" its content and rhetorical system.

*In order to reach the desired results, the nature of this thesis necessitated two chapters results preceded by an introduction and followed by a conclusion.

*The introduction included the importance of the topic, the reason for choosing it, and the research plan and methodology

*The first chapter which is entitled: Badiyat "Concepts and Perceptions is devoted to monitor the concepts of the Badiyat and clarifying their origins in the old Algerian poetry. Also, the chapter shows the relationship between them and the Sufism, as well as the contents that the poets use.

For the second chapter is entitled: Badiyat Ibn al-Khallouf, "The Breath of Acceptance in Praise of Taha the Messenger" "A Study of the Contents and Rhetorical Systems". The research in this chapter was devoted to the rhetorical system of the Badiyat and its contents. Finally, the conclusion which includes the major features of the research and the results it reached, followed by a list of sources, refferences and an index of the topics included in the research. This makes it easier for the reader to reach his goal in a short time

Keywords: Badiyaht content rhetorical system